IX 9Marks

ما هي بشارة الإنجيل؟

غريغ غيلبرت

تقديم دي. إيه. كارسون

”غريغ غيلبرت، هو أحدُ ألمع الشبَّان المدعوِّين لخدمة الكنيسة اليوم، وأكثرهم إخلاصًا. يقدِّم لنا هنا فهمًا ثاقبًا وأمينًا وكاملًا لبشارة إنجيل يسوع المسيح. ليس هناك احتياجٌ أعظَمُ من معرفة بشارة الإنجيل الحقيقيَّة، وإدراك الأمور المزيَّفة، وإطلاق جيلٍ من المؤمنين بالمسيح يركِّزون على الإنجيل. هذا الكتاب مهمٌّ جدًّا، وقد وصلَ في الوقت المناسب“.

آر. ألبرت مولر الابن (R. Albert Mohler JR.)

مدير كلِّيَّة سذرن بابتيست (Southern Baptist) للدراسات اللاهوتيَّة

”هناك حقيقتان تجعلان هذا الكتاب مهمًّا جدًّا: مركَزيَّة الإنجيل في جميع الأجيال، والارتباك حول الإنجيل في جيلنا الحاليّ. يقدِّم لنا هذا الكتاب شرحًا أمينًا للإنجيل من الكتاب المقدَّس، ويؤهِّل المؤمنين بالمسيح ليتمكَّنوا من تمييز كلِّ الانحرافات عن الرسالة المجيدة. كم أتمنى أن أضعَ هذا الكتاب بين يدَي كلِّ قساوسة الكنيسة وأعضائها“.

سي. جاي. ماهاني (C. J. Mahaney)

خدمات ”النعمة السائدة“ (Sovereign Grace)

”يؤكِّد غريغ غيلبرت أنَّ الفهم الإنجيليَّ الحاليَّ لبشارة الإنجيل ضاع في ظلمة التَّشويش. وهكذا نراه ينيرُ هذه الظلمة بتسليط الضوء على موضوعٍ قديم. يكتب غيلبرت بأسلوبٍ واضحٍ وواعٍ ومبسَّط يستقطب الكثيرين، لا سيَّما الشباب. لذا سيعمل هذا الكتاب على صَقْلِ طريقةِ تفكيرك بشأن الإنجيل، وسيحفره بصورة أعمق في ذهنك كي تتمكَّنَ من مشاركة الخبر السارِّ عن يسوع المسيح بجرأة. كما سيُساعدُك على التأمُّل في مدى تأثير الإنجيل في حياتك، وسيجعلك تصرخ إلى الله شاكرًا إيَّاه على ما أتمَّه المسيح“.

جيمس ماكدونالد(James MacDonald)

راعي كنيسة حصاد الإنجيل (Harvest Bible)، شيكاغو

”كلامٌ رائعٌ عن أمرٍ قديم- قصَّةٌ قديمةٌ بكلماتٍ جديدة- مع تحذيراتٍ من الانحرافات الخفِّيَّة. وكما تشهد أغنية الرسالة القديمة؛ وكما هي الحال في هذا الكتاب، فإنَّ أولئك الذين يعرفون القصَّة القديمة بصورةٍ أفضل سيجدون أنفسَهم توَّاقين ومتعطِّشين إلى سماع هذه القصَّة حالُهم حالُ الباقين“.

بريان تشابل (Bryan Chapell)

مدير كلِّيَّة العهد للدراسات اللاهوتية (Covenanat Theological Seminary)

”لقد تشرَّفتُ بتعليم غريغ غيلبرت، وهو مَن يعلِّمني الآن. إنَّ هذا الكتيِّب عن الإنجيل، من أوضح الكتب وأهمِّها بين التي قرأتها في السنوات الماضية“.

مارك دَفر (Mark Dever)

راعي كنيسة كابيتول هِل المعمدانيَّة (Capitol Hill Baptist Church)، واشنطن دي. سي

”يحبُّ المؤمنون بالمسيح كلمة «الإنجيل» لسببٍ وجيه. ولكن للأسف هناك عدد هائل من المؤمنين بالمسيح، يفشَلون في فَهْمِ الإنجيل تمامًا. وهنا يُبيِّن صديقي غريغ غيلبرت من الناحية العقائديَّة والواقعيَّة مدى أهمِّيَّة فَهْم كلٍّ من الطبيعة اللاهوتيَّة والضرورة العمليَّة للإنجيل. نرجو ونصلِّي أن يكونَ هذا الكتابُ ضمن سلسلةٍ من عدَّة كتب للمؤلِّف“.

توليان تشيفيجيان (Tullian Tchividjian)

راعي كنيسة كورال ريدج (Coral Ridge) المشيخيَّة، فورت لودردل، فلوريدا

”إنَّه كتابٌ موجزٌ لكنَّه قويّ. وهو يجيب عن السؤال الذي يحملُ اسمَه بعَرضٍ واضح ومختَصر. إنَّه عرضٌ رائعٌ للخبر السَّارّ. اقرأه وشارِكْ به آخرين“.

دانيال إل. أكين (Daniel L. Akin)

رئيس كلِّيَّة ساوث إيسترن المعمدانيَّة للدراسات اللاهوتيَّة (Southeastern Baptist Theological Seminary)

”لقد كتب بذكاءٍ وإتقان وبقلبٍ رعويّ كتابًا مفيدًا للباحثين والمؤمنين الجدد، ولكلِّ مَن يرغبُ في فهم الإنجيل بوُضوح أكثر. كنتُ أنتظر كتابًا كهذا! إنَّه دليل توجيهيٌّ راسخ لموضوعٍ مثيرٍ للجدل على نحوٍ غريب، فهو يبدِّد كلَّ المفاهيم الخاطئة المتعلِّقة بالإنجيل والملكوت ومعنى الصليب“.

كيفن دي يونغ (Kevin DeYoung)

راعي كنيسة يونيفيرسيتي المصلحة، إيست لانسنغ، ميشيغان

”يوضحُ هذا الكتاب بطريقةٍ حسَّاسةٍ ومثيرةٍ للاهتمام أنَّ الإنجيل عميق بصورةٍ لا توصَف، وواضحٌ بما يكفي ليَفهَمَه الجميع“.

بايج باترسون (Paige Patterson)

رئيس كلِّيَّة ساوثويسترن المعمدانيَّة للدراسات اللاهوتيَّة

(Southwestern Baptist Theological Seminary)

”يدعو غريغ غيلبرت الكنيسة لتعودَ إلى مصدر إلهامها الحقيقيّ. وبطريقةٍ بسيطةٍ ومباشرة، أظهَرَ للعِيان ما هو مبيَّن في الكتاب المقدَّس عن معنى الإنجيل“.

رئيس الأساقفة بيتر جاي. أكينولا، أسقف كنيسة نيجيريا، الطائفة الإنغليكانية

”في عصرٍ يحفلُ بالشكِّ والبراغماتيَّة، ليس هناك تحدٍّ أكبرُ من جَعْلِ الإنجيل المجيد واضحًا. وهذا هو الاحتياج الأعظم سواءٌ للمؤمنين أم المشكِّكين. وفي هذا العمل المدروس والمنفتح، يجيب غريغ غيلبرت بوُضوح عن أهمِّ تساؤلٍ مطروح“.

دارين باتريك (Darrin Patrick)

نائب رئيس شبكة “The Acts 29 Church Planting”

”يخترق غريغ غيلبرت حالةَ الارتباك ببحثه في الكتاب المقدَّس للإجابة عن أهمِّ سؤالٍ يمكن أن يطرحَه أيُّ إنسان. حتَّى لو كنتَ تعتقدُ أنَّك تعرف الخبر السارَّ بشأن ما فعله الله في المسيح يسوع، سيزيد غيلبرت من حدَّة تركيزك على هذا الإنجيل المجيد“.

كولين هانسن (Collin Hansen)

رئيس تحرير مجلَّة ”المسيحيَّة اليوم“ (Christianity Today)

”سيساعدُك هذا الكتاب على فَهْم إنجيل يسوع المسيح وتقديره ومشاركته بصورةٍ أفضل. وإذا كنتَ تعتقدُ أنَّك تعرف ما يكفي عن الإنجيل، فقد تحتاج إلى أكثر من ذلك“.

جوشوا هاريس (Joshua Harris)

راعي كنيسة حياة العهد (Covenant Life)، ميريلاند

”وسط الثقافة المسيحيَّة المعاصرة التي تتَّسمُ بتفشِّي الارتباك المتعلِّق بالمبادئ المركزيَّة لإيماننا، قدَّم لنا غريغ غيلبرت صورة واضحةً عن الإنجيل لكلِّ مَن آمنَ، ومُقنعةً لـمَن لم يؤمنْ بَعدُ. إنَّ هذا الكتاب المُشبَع بكلمة الله، والمتمركزَ حول الصليب وتمجيد الله، سيجذب انتباهك ويُشعِلُ الحماسةَ في قلبك تُجاهَ الله الذي يخلِّصنا بنعمته بواسطة إنجيله ولأجل مجده“.

ديفيد بلات (David Platt)

راعي كنيسة ذا تشيرت آت بروك هيلز (The Church at Brook Hills) بيرمينغهام، ألاباما

”إنَّ وُضوحَ الإنجيل يؤدِّي إلى الثقة به، وإلى تكوُّن قناعةٍ خاصَّةٍ بحقائق الإنجيل الأساسيَّة. وهذا الكتاب الممتاز واضحٌ بصورةٍ رائعة، وأمينٌ من جهة الكتاب المقدَّس، وسيعيد القراءة بتركيزٍ متجدِّد على بشارة الإنجيل“.

وليَم يايلور (William Taylor)

رئيس جامعة سانت هيلين بيشوبس غيت (St. Helen Bishopsgate)، لندن

”عندما أفكِّر في حجر الزاوية في كتابي المقدَّس، يتَّجه قلبي مباشرة نحو بشارة الإنجيل. أعرف كثيرًا من الناس الذين يحبُّون الإنجيل، ولكنِّي منفتحٌ دائمًا كي أحبَّه أكثرَ وأفهمَه بصورةٍ أفضل. لقد كتب غريغ غيلبرت هذا الكتاب لمساعدتنا على معرفة الإنجيل ومحبَّته أكثر“.

جوني هَنت (Johnny Hunt)

مدير ذا سذرن بابتيست كونفينشن (The Southern Baptist Convention)

وراعي الكنيسة المعمدانية الأولى، وُدستوك، جورجيا

”يكمنُ عُمقُ هذا الكتاب في بساطته. ربَّما يكون الخطر الأكبر في المسيحيَّة هو بناء افتراضات حول ماهيَّة الإنجيل دون الاستماع إلى صوت الكتاب المقدَّس الواضح والمحدَّد. ليس من المبالغة القَول إنَّ هذا الكتاب هو أهمُّ كتابٍ يجب أن تقرأه عن الإيمان المسيحيّ“.

رِك هولاند (Rich Holland)

الراعي الإداريُّ في كنيسة النعمة المجتمعيَّة (Grace Community)، صن فالي، كاليفورنيا

ما هي
بشارة الإنجيل؟

غريغ غيلبرت

تقديم دي. إيه. كارسون

What Is the Gospel?
Copyright © 2010 by Gregory D. Gilbert
Published by Crossway
1300 Crescent Street
Wheaton, Illinois 60187

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form by any means, electronic, mechanical, photocopy, recording, or otherwise, without the prior permission of the publisher, except as provided for by USA copyright law.

Cover design: Dual Identity Design
Interior typesetting: Lakeside Design Plus
First printing 2010
Printed in the United States of America

Unless otherwise indicated, Scripture quotations are from the ESV® Bible (*The Holy Bible, English Standard Version*®), copyright © 2001 by Crossway. Used by permission. All rights reserved.

Scripture quotations marked NIV from the HOLY BIBLE, NEW INTERNATIONAL VERSION®. Copyright © 1973, 1978, 1984 Biblica. Used by permission of Zondervan. All rights reserved. The "NIV" and "New International Version" trademarks are registered in the United States Patent and Trademark Office by Biblica. Use of either trademark requires the permission of Biblica.

All emphases in Scripture quotations have been added by the author.

Hardcover ISBN: 978-1-4335-1500-2
PDF ISBN: 978-1-4335-1501-9
Mobipocket ISBN: 978-1-4335-1502-6
ePub ISBN: 978-1-4335-2460-8

Library of Congress Cataloging-in-Publication Data
Gilbert, Greg, 1977–
What is the Gospel? / Greg D. Gilbert ; foreword by D.A. Carson.
p. cm.
Includes bibliographical references and index.
ISBN 978-1-4335-1500-2 (hc)
1. Theology, Doctrinal—Popular works. I. Title.

BT77.G44 2010
230—dc22

2009030583

Crossway is a publishing ministry of Good News Publishers.

LB 21 20 19 18 17 16 15 14 13 12 11 10
14 13 12 11 10 9 8 7 6 5 4 3 2 1

كل الاقتباسات من الكتاب المقدس مأخوذة من ترجمة فاندايك- البستاني إلا إذا ذُكر غير ذلك.

إهداء

إلى موريا (Moriah)

أحبُّك كثيرًا جدًّا فوق التصوُّر

المحتويات

مقدِّمة السلسلة	١٣
تقديم دي. إيه. كارسون	١٥
مقدِّمة	١٧
الفصل ١: العثور على بشارة الإنجيل في الكتاب المقدَّس	٢٧
الفصل ٢: الله الخالق البارّ	٤٣
الفصل ٣: الإنسان الخاطئ	٥٣
الفصل ٤: يسوع المسيح المخلِّص	٦٥
الفصل ٥: الاستجابة- الإيمان والتوبة	٧٧
الفصل ٦: الملكوت	٩١
الفصل ٧: الحفاظ على مركَزيَّة الصليب	١٠٩
الفصل ٨: قوَّة بشارة الإنجيل	١٢١
شكرٌ خاصّ	١٣١

مقدِّمة السلسلة

تستندُ سلسلة "العلامات التسع" (9 Marks)، إلى فكرتَين أساسيَّتَين: الفكرة الأولى أنَّ الكنيسةَ المحلِّيَّة مهمَّةٌ جدًّا في الحياة المسيحيَّة، بصورة قد تفوق إدراكَ المؤمنين بالمسيح اليوم، فنحن في خدمة "العلامات التسع" نؤمن بأنَّ المؤمنَ الذي يحيا حياةً مسيحيَّة صحِّيَّة هو عضوٌ صحِّيٌّ في الكنيسة.

الفكرة الثانية هي أنَّ الكنائس المحلِّيَّة تنمو في حياتها ونشاطها عندما تنظِّم حياتها حول الكلمة التي تُحييها، حول كلمة الله. فالله يتكلَّم، وعلى الكنائس أن تُصغِيَ وتتبعَ كلمة الله. الأمر بسيط! عندما تبدأ الكنيسة تسمعُ كلمة الله وتتَّبعُها، ستبدأ تشابه مَن تتَّبعه، فتعكس محبَّتَه وقداستَه، وتُظهِرُ مجده. وعندها ستبدو الكنيسة مثله عندما تصغي إليه.

من هذا المنطلق، قد يُلاحظ القارئ أنَّ العلامات التسع المأخوذة من كِتاب **"العلامات التسع للكنيسة السليمة"** *(Nine Marks of a Healthy Church)* للكاتِب مارك دَفر (Mark Dever) في عام ٢٠٠١م تستندُ حصرًا إلى الكتاب المقدَّس:

- الوعظُ التفسيريُّ.
- علمُ اللاهوت الكتابيُّ.
- فهمٌ كتابيٌّ لبشارة الإنجيل.

- فهمٌ كتابيٌّ للاهتداء.
- فهمٌ كتابيٌّ للكِرازة.
- فهمٌ كتابيٌّ لعضويَّة الكنيسة.
- فهمٌ كتابيٌّ للتَّأديب الكنسيِّ.
- فهمٌ كتابيٌّ للتَّلمذة والنموِّ.
- فهمٌ كتابيٌّ لقيادة الكنيسة.

يُمكن قول الكثير عمَّا يجب على الكنيسة فعله لتكونَ سليمة، مثل الصلاة. غير أنَّ الممارسات التسعة الآنفة الذِّكر هي برأينا الأكثرُ إغفالًا اليوم (على عكس الصلاة). لذا أساسُ رسالتنا للكنيسة هو ألَّا تنظرَ إلى المُمارسات الدعائيَّة أو إلى أحدَث الصَّيحات، بل إلى الله. ابدأوا بالإصغاء إلى كلمة الله من جديد.

ومن هذا المشروع الشامل تأتيكم سلسلة الكُتب الخاصَّة بخدمة "العلامات التسع" والتي تسعى إلى فحص العلامات التسع من كثبٍ ومن مُختلف الزوايا. وبعضُها يستهدف رُعاة الكنائس، وبعضُها الآخر أعضاء الكنائس. ونأملُ أن تدمج جميعها فحصًا كتابيًّا دقيقًا وبُعدًا لاهوتيًّا واعتبارًا ثقافيًّا وتطبيقًا جماعيًّا وحتَّى شيئًا من الجُهد الشخصيِّ. فأفضل الكُتب المسيحيَّة هي التي تجمع ما بين عِلم اللاهوت والتطبيق.

نُصلِّي أن يستخدم الله هذه الكتابات وغيرها في المساهمة في إعداد كنيسته العروس بالإشراقة والجمال إلى يوم مجيئه الثاني.

تقديم

على مدى أكثر من ثلاثين عامًا، تبيَّنَ من تعليمي لدارسي اللاهوت أنَّ الأسئلة الجدليَّة التي يطرحونها تختلف من جيلٍ إلى آخر. وينطبق الأمر ذاته على نطاق شعب الكنيسة الأوسع. فأحيانًا تجد نقاشات ساخنة عندما تطرح سؤالًا مثل، ما رأيك في الحركة الكارزماتيَّة؟ أو هل عصمة الكتاب المقدَّس أمرٌ يستحقُّ الدفاع عنه؟ أو ما رأيك في الكنائس التي تسعى وراء الأمور الحسَّاسة؟ من السهل إيجاد أناسٍ يرغبون في مناقشة هذه الأسئلة اليوم، ولكن لا ينتج عنها عادةً سوى القليلِ من الإثارة والقليل جدًّا من الاستنارة. على الأرجح يُطرَح اليوم هذا السؤال "ما هي بشارة الإنجيل؟"- كما هو مذكور في الكتاب المقدَّس- كي يثيرنا من الداخل. قد يضيف أحَدُهم بصورةٍ مفيدةٍ سؤالًا ذا صلة: ما المقصود بكلمة "الإنجيليَّة"؟

تولِّد هذه الأسئلة إجاباتٍ متباينةً، وكثيرًا ما يُدافَع عنها عقائديًّا دون التفكير والتأمُّل مليًّا في الكتاب المقدَّس، وهذا بصراحة أمرٌ خطير؛ لأنَّها قضايا أساسيَّة جدًّا. فعندما يتبنَّى "الإنجيليُّون" آراءً متباينة حول معنى كلمة "الإنجيل" (مصطلح "بشارة الإنجيل"، هو ذاته ما تعنيه كلمة "إنجيل" [Evangel])، عندها إمَّا أن نستنتج أنَّ "الإنجيليَّة"حركة ظاهرة متنوِّعة لا تشتمل على بشارة إنجيل مُتَّفقٍ عليها، وليس فيها أيُّ إدراكٍ

للمسؤوليَّة لكي "تَجتَهدوا لأجلِ الإيمانِ المسَلَّم مرَّةً لِلْقِدِّيسين" (يهوذا ٣)، وإمَّا أنَّ هناك الكثير ممَّن يدعون أنفسهم "إنجيليِّين" ليس لديهم أيُّ حقٍّ شرعيٍّ في ذلك، إذ تركوا "الإنجيل" وراءهم.

إنَّ هذا الكتابَ ليس دعوةً لفَتْح آفاقٍ جديدةٍ كاستطلاعٍ يجدِّد بعضَ الأسس القديمة التي ينبغي عدم تجاهلها أو إهمالها بتاتًا. والوضوح في فكر غريغ وتعبيراته هو أمرٌ يستحقُّ الإعجاب، وهذا الكتاب سيصقل تفكير الكثير من المؤمنين الناضجين.

والأهمُّ من ذلك، فقد نُشِر هذا الكتاب على نطاقٍ واسع بين قادة الكنيسة والشباب المؤمنين، وحتَّى بعض الذين لم يضعوا ثقتَهم في السيِّد المسيح بَعد، ممَّن يرغبون في إيجاد تفسيرٍ واضح لمعنى بشارة الإنجيل. اقرأ الكتاب، ثمَّ اشترِ مجموعةً منه كي توزِّعها على الآخرين.

دي. إيه. كارسون

مقدِّمة

ما هي بشارة إنجيل يسوع المسيح؟

قد تظنُّ أنَّه سؤالٌ بسيطٌ وتسهُل الإجابة عنه، ولا سيَّما من المؤمنين. وربَّما ترى أنَّ تأليف كتابٍ كهذا- شخصٌ يسأل المؤمنين أن يفكِّروا مليًّا في سؤال، "ما هي بشارة إنجيل يسوع؟"- ليس أمرًا ضروريًّا البتَّة. فهذا يشبه أن تجمعَ عددًا من النجَّارين، وتطرح عليهم سؤالَ "ما هي المطرقة؟" ليفكِّروا فيه.

على أيَّة حال، تقع بشارة إنجيل يسوع المسيح في مركَز المسيحيَّة. وندَّعي، نحن المؤمنين، أنَّ للإنجيل المكانةَ الأولى، وهو ما نريد أن نؤسِّس حياتَنا عليه ونبني كنائسنا حوله. إنَّه محور حديثنا مع الآخرين، ونطلب في صلواتنا أن يصغي إليه الآخرون ويؤمنوا به.

والسؤال الآن: ما مدى ثبات فهم معظم المؤمنين لمحتوى بشارة الإنجيل برأيك؟ بمَ ستُجيب إذا طُرِح عليك السؤال التالي: ما هذا الخبر الذي تبنون حياتكم عليه وحوله بوصفكم مؤمنين بالمسيح؟ وما السارُّ فيه؟

إحساسي يقول إنَّ عددًا كبيرًا من المؤمنين سيقدِّمون إجاباتٍ مختَصَرةً لا تفي ما هو مكتوب في الكتاب المقدَّس عن "إنجيل يسوع المسيح". قد تكون إجابتهم "بشارة الإنجيل هي أنَّ الله سيغفر خطاياك إذا آمنتَ

به"، أو قد يقولون "الخبر السار هو أنَّ الله يحبُّك ولديه خُطَّة رائعة لحياتك"، أو "بشارة الإنجيل هي أنَّك ابنٌ لله، والله يريد لأولاده أن يكونوا ناجحين تمامًا في كلِّ شيء". قد يدرك بعضنا ضرورة ذِكر موت المسيح على الصليب وقيامته، ولكنْ مرة أخرى، كيف تتناسب جميع هذه الأمور بعضها مع بعض؟

إنَّ جَعْلَ المؤمنين يتَّفِقون على إجابة هذا السؤال "ما هي بشارة الإنجيل؟" ليس بالبساطة المتوقَّعة. أنا أعمل مع خدمة "العلامات التسع"، وهي تابعة لكنيسة كابيتول هِل المعمدانية في العاصمة واشنطن. إلى حدٍّ كبير، مَن يقرأون ويعلِّقون على الموادِّ التي ننشرها هم من شريحة ضيِّقة من المسيحيِّين الإنجيليِّين. فهم يؤمنون بأنَّ الكتاب المقدَّس حقيقيّ، ويؤمنون بعصمته أيضًا، وبأنَّ يسوع مات على الصليب، وقام بجسده من الموت، وبأنَّ البشرَ خطاةٌ وبحاجة إلى الخلاص، ويسعون لأن يكونوا أناسًا تتمركز حياتُهم حول الإنجيل، وتكون مُشبَعةً به.

من بين المواضيع التي نكتب عنها، برأيك: ما الموضوع الذي يثير أكثر التعليقات والاستجابات الأكثر حيويَّة؟ أجل، بشارة الإنجيل. يمكننا أن نكتبَ ونتحدث لشهور بشأن الوعظ، والتلمذة، والمشورة، والتنظيم الكنسيّ، بل حتَّى الموسيقا الكَنسيَّة، ونجد من قرَّائنا تجاوُبًا مثيرًا للاهتمام، لكنَّه ليس مفاجئًا. ولنُضفْ مقالةً نحاول فيها أن نكون واضحين أنَّ ما يعلِّمه الكتاب المقدَّس هو الخبر السارُّ في المسيحيَّة، وستكون الاستجابة مذهلة.

منذ مدَّة، نَشرَ أحد أصدقائي مقالةً قصيرة على موقعنا عن فنَّانٍ معروف مؤمن بالمسيح، طُلِب منه في إحدى المقابلات أن يُعرِّف الخبر السارَّ في المسيحيَّة. وإليكم ما قاله هذا الفنَّان:

> ”يا له من سؤال رائع! أعتقد على الأرجح... غريزتي تقول إنَّ الخبر السارَّ هو أنَّ يسوع أتى، وعاشَ وسطنا، ومات وقام، وبعمله الذي ابتدأ ولم يكتمل بَعد استردَّ كلَّ شيء لنفسه... وذلك يحدث به هو فقط...وقد برَّر كلَّ شيء... وتبدأ تلك العمليَّة وتكون واقعًا في حياة المؤمنين وقلوبهم، وسيأتي اليوم الذي تُدرَك فيه هذه الحقيقة بصورةٍ كاملة. ولكنَّ الخبر السارَّ، أي بشارة الإنجيل، أو بالكلام عن الخبر السارّ، أودُّ أن أقولَ إنَّه الإخبار بأنَّ ملكوتَه آتٍ، والاحتفال بملكوته قريب...هذا ما أفهمه“.

لقد تجاوب الكثيرون منَّا بطَرْح أسئلة مثل ”إذا كنَّا بصدد صياغة بشارة الإنجيل المسيحيَّة، ألا ينبغي لنا إدراج شيء من التوضيح عن موت يسوع وقيامته؟“ أو ”ألا ينبغي التحدُّث قليلًا بشأن الخطيَّة والحاجة إلى الخلاص من غضب الله عليها؟“

لقد كانت استجابة الناس لتلك المقالات مذهلة، ففي غضون عدَّة أشهر استقبَلْنا عشرات الرسائل حول ذلك الموضوع. فكتب بعض الأشخاص لنا معبِّرين عن تقديرهم للأسئلة التي أثرناها، وتساءل آخرون عمَّا هو الخطأ في توضيح بشارة الإنجيل بتلك الطريقة، ما دام يسوع وعظَ عن مجيء الملكوت. كما انتعش بعض الأفراد عندما سمعوا مؤمنين يفكِّرون جدِّيًّا في كيفيَّة توضيح بشارة الإنجيل في المقام الأوَّل.

في بعض الجوانب، أكون سعيدًا عندما أرى مؤمنين بالمسيح يتحمَّسون عند بدء نقاش يدور حول الإنجيل. فهذا يُظهر جدِّيَّتهم تُجاه الأمر، ووجود

أفكار عميقة لديهم عن معنى بشارة الإنجيل. وهذا وضعٌ غير صحِّيّ، عندما لا يكون هناك مؤمنون مهتمُّون بتعريف بشارة الإنجيل وفهمها. من جهةٍ أخرى، أعتقد أنَّ الطاقة التي نتجت عن المناقشات حول بشارة الإنجيل تشير إلى وجود تشويش عامٍّ وضبابيَّة تحيط بها هذه الأيَّام. فعندما تقترب من موضوع تعريف بشارة الإنجيل، لا يتَّفق المسيحيُّون على ماهيَّتها، حتَّى المؤمنون بالمسيح الذين يدعون أنفسهم إنجيليِّين.

خذْ شريحةً من مئة مؤمن بالمسيح، ممَّن يحسبون أنفسهم إنجيليِّين، واسألهم عن خبر يسوع السارّ، فتحصلَ في الغالب على ستِّين إجابة مختلفة. استمع إلى وعظٍ إنجيليّ، واقرأ كتابات إنجيليَّة، وتفحَّص مواقع إلكترونيَّة إنجيليَّة، فتجدَ وصفًا تلو الآخر لبشارة الإنجيل، وكثيرًا ما يتنافى بعضها مع بعض. وإليك هنا بعضًا ممَّا وجدته:

> الخبر السار، هو أنَّ الله يريد أن يُظهر لك صلاحَه الذي يفوق العقل. إنَّه يريد أن يملأ حياتَك "بخمرٍ جديدة"، ولكن هل أنت مستعدٌّ للتخلِّي عن زقاقك العتيقة؟ هل ستبدأ تفكِّر بصورةٍ أوسع؟ هل ستوسِّع رؤيتَك وتتخلَّصَ من طرق التفكير القديمة السلبيَّة التي تمسَّكتَ بها؟

> بشارة الإنجيل في عبارةٍ واحدة: نتيجةً لموت المسيح من أجلنا، فإنَّ أولئك الذين يثقون به يعلَمون أنَّ خطاياهم غُفِرت مرَّة وإلى الأبد. ماذا علينا أن نقولَ أمام كرسيِّ قضاء الله؟ سنقول أمرًا واحدًا فقط: مات المسيح بالنِّيابةِ عنِّي. هذه هي بشارة الإنجيل.

يمكن أن تُعدَّ رسالة يسوع الأكثر ثوريَّةً على مرِّ العصور. إنَّها إمبراطوريَّة الله الثوريَّة الجذريَّة، وهي تتقدَّم بالمصالحة والسلام، وتمتدُّ بالإيمان والرجاء والمحبَّة- بدءًا بالأفقر والأضعف والأدنى والأكثر وداعةً. حان الوقت لتغيير طريقة تفكيرك؛ فكلُّ شيء على وشك التغيير. وحان الوقت لطريقة حياة جديدة. صدِّقني. اتبعني. صدِّق الخبر السار كي تتعلَّم أن تحيا به وتكون جزءًا من الثورة.

الخبر السار هو أنَّ الله ينظر نحوك دائمًا، بغضِّ النظر عمَّا فعلته، والحالة التي أنت فيها، أو عدد الأخطاء التي ارتكبتَها. إنَّه يحبُّك ويبحث عنك.

تشير بشارة الإنجيل نفسها إلى إعلان أنَّ يسوع المصلوب والمقام، المسيَّا، هو الربُّ الحقيقيُّ الوحيد في كلِّ العالم.

الخبر السارُّ! هو أن يصيرَ الله ملكًا، وذلك بيسوع! وهذا ما يبعث فينا الراحة! سيتجدَّد عدلُ الله وسلامُه وعالمه. ودون شكّ، في خضمِّ هذا كلِّه، هذا هو الخبر السارُّ لك ولي. ولكن يُعدُّ هذا نتيجةً طبيعيَّةً للخبر السارِّ الذي هو رسالة عن يسوع، وتأثيره من الدرجة الثانية فيَّ وفيك وفينا جميعًا. غير أنَّ الإنجيل نفسه لا يدور حول نوع الشخص الذي أنت عليه، وما يمكن أن يحدث لك. فتلك هي نتيجة الإنجيل وليست الإنجيلَ في حدِّ ذاته...إنَّ الخلاص هو نتيجة بشارة الإنجيل، وليس هو محورها.

بشارة الإنجيل هي إعلانٌ عن يسوع، وتحقيق عالم إمكانيَّات الله (ملكوته) وسط الإمكانيَّات البشريَّة. ولكنَّه أيضًا إعلان عن يسوع- الخبر السارُّ أنَّه بموت يسوع وقيامته جعلَ ملكوتَه الذي أعلنه متاحًا لنا.

بوصفي مؤمنًا بالمسيح، أحاول ببساطة توجيه نفسي كي أحيا بطريقةٍ معيَّنة، الطريقة التي علَّم عنها يسوع وقال إنَّها ممكنة. وأعتقد أنَّ طريقة يسوع هي أفضل طريقة يمكنُ أن نحياها...بمرور الوقت عندما تحاول عن قصد أن تحيا بطريقةِ يسوع، ستبدأ تلاحظُ وُجودَ أمورٍ أعمق، وتدرك السبب الذي يجعل منها أفضلَ طريقةٍ للحياة: أنَّها متأصِّلة في الحقائق العميقة عن ماهيَّة العالم. تجد نفسك تحيا بمزيدٍ من الانسجام مع الحقيقة المطلقة، وتتوافق أكثر فأكثر مع ماهيَّة الكون في أعمق مستوياته...لقد أعلن المسيحيُّون الأوائل طريقة يسوع هذه بأنَّها "الخبر السارّ".

أفهم رسالة يسوع بأنَّه يعلِّمنا أن نحيا في واقع الله الآن- هنا واليوم. كما لو أنَّ يسوع يقول لنا باستمرار: "غيِّر حياتَك! عِش بهذه الطريقة".

هل ترى ما أعنيه عندما قلتُ إنَّ بشارة الإنجيل محاطةٌ بغمامة من التشويش؟ لو أنَّك لم تسمع عن المسيحيَّة قَطّ، فما رأيك بعد قراءة تلك الاقتباسات القليلة؟ دون شكّ، ستعرف أنَّ المؤمنين يريدون إيصال بعض الرسائل السارَّة، ولكن ستدرك بعد ذلك أنَّها مجرَّد خليط. هل الخبر السارُّ

هو أنَّ الله يحبُّني فقط، وأنِّي أحتاج لأن أفكِّر بطريقة إيجابيَّة أكثر؟ هل الخبر السارُّ هو أنَّ يسوعَ قدوةٌ جيِّدة يمكن أن يعلِّمني كيف أحيا حياةً ملآنةً بالمحبَّة والرأفة؟ ربَّما هناك أمرٌ يتعلَّق بالخطيَّة والغفران. يبدو أنَّ بعض المسيحيِّين يرون علاقةً ما بين الخبر السارِّ وموت يسوع، وبعضهم الآخر لا يرى ذلك.

ليست غايتي هي أن تتوصَّل هنا والآن إلى قرار بشأن ما هو أفضل أو أسوأ تلك الاقتباسات (مع أنِّي أرجو بعد قراءة الكتاب أن تكون قادرًا على التوصُّل إلى قرار)، ولكنِّي ببساطة أريد الإشارة إلى مقدار الأفكار المختلفة التي تتبادر إلى ذهن الناس عندما يُطرح عليهم سؤال: ما هي بشارة الإنجيل؟

أحاول في هذا الكتاب تقديم إجابةٍ واضحة عن هذا السؤال- إجابةٍ مبنيَّة على ما يعلِّمنا إيَّاه الكتاب المقدَّس بشأن بشارة الإنجيل. وفي أثناء هذا، أرجو عدَّة أمور وأصلِّي لأجلها.

أوَّلًا، إذا كنت مؤمنًا بالمسيح، أصلِّي أن يكون هذا الكتيِّب- والأهمُّ من ذلك، الحقائق المجيدة الموضَّحة فيه- سببًا لامتلاء قلبك بالفرح والتسبيح ليسوع المسيح على ما فعله وأتمَّه من أجلك. فبشارة الإنجيل الضعيفة تؤدِّي إلى عبادة ضعيفة، وتُنزل أعيننا من على الله إلى أنفسنا، وتَبخِسُ ما فعله الله من أجلنا في المسيح. وعلى النقيض من ذلك، فبشارة الإنجيل بحسب الكتاب المقدَّس تُشبه الوقود لموقد العبادة. كلَّما فهمتها وآمنت بها واعتمدت عليها، زادت محبتك لله لأجل شخصه ولأجل ما فعله من أجلنا في المسيح. لقد صرخ بولس في (رومية ١١: ٣٣) "يَا لَعُمقِ غِنى اللهِ

وحِكْمَتِه وعِلْمِه! ما أَبْعَدَ أَحكَامَه عَن الفَحْصِ وَطُرُقَه عن الاستِقْصَاء!" وذلك لأنَّ قلبه كان ممتلئًا ببشارة الإنجيل!

ثانيًا، أرجو أن تمنحَك قراءة هذا الكتاب ثقةً أعمق بينما تتكلَّم مع الآخرين عن خبر يسوع السارّ. لقد قابلتُ عددًا من المؤمنين الذين تردَّدوا في مشاركة بشارة الإنجيل مع أصدقائهم وعائلاتهم ومعارفهم، خوفًا من عدم وجود إجابات عن أسئلتهم. على الأرجح هذا أمرٌ حقيقيّ؛ فبغضِّ النظر عمَّن تكون، لن تكون أبدًا قادرًا على إجابة جميع الأسئلة! ولكن يمكنك الإجابة عن بعضها، وأرجو أن يساعدك هذا الكتاب على إجابة المزيد منها.

ثالثًا، أصلِّي أن ترى أهمِّيَّة الإنجيل لحياة الكنيسة، ومن ثَمَّ ستحرص على أن يُبشَّر بالإنجيل، ويُرنَّم ويُعلَّم ويُصلَّى به، ويُعلَن ويُسمع في كلِّ جانب من حياة كنيستك. يقول الرسول بولس إنَّه بواسطة الكنيسة ستُعرف حكمة الله المتعدِّدة الأوجه لهذا الكون. وكيف سيتمُّ ذلك؟ بالوعظ بالإنجيل، الذي سينير "للجميع" خُطَّةَ الله الأبديَّة لخلاص العالم (أفسس ٣: ٧-١٢).

رابعًا، أرجو أن يساعد هذا الكتاب على تعزيز حدود الإنجيل في ذهنك وفكرك. فبشارة الإنجيل رسالةٌ صارخة، تقتحم طريقة تفكير العالم وأولويَّاته بحقائق ثاقبة ومنعشة. للأسف، هناك ميلٌ دائمٌ بين المسيحيِّين- وحتَّى الإنجيليِّين منهم- إلى تخفيف تلك الحدود كي يحظى الإنجيل بقبولٍ أكبر من العالم. لذا صلاتي أن يعمل هذا الكتاب على الحفاظ على هذه الحدود، ويمنع من تآكل الحقائق التي لا غنى عنها لإعلان خبر يسوع

السارّ، حتَّى وإن كان من الصعب على العالم احتمالها. جميعنا معرَّضون باسم الحكمة في الشهادة لأن نقدِّم الإنجيل بطريقةٍ جذَّابة قدرَ الإمكان. وهذا أمر جيِّد في بعض النواحي؛ ففي النهاية هو "الخبر السارّ"- ولكن يجب أن نحرص أيضًا على ألَّا نتخلَّص من النقاط الحاسمة الموجودة فيه. علينا المحافظة على تلك الحدود. أرجو أن يساعدَنا هذا الكتاب على القيام بذلك.

أخيرًا، في حال لم تكن مؤمنًا بالمسيح، أصلِّي أن تدفعك قراءة هذا الكتاب للتَّفكير مليًّا في خبر يسوع المسيح السارّ. هذه هي الرسالة التي راهنَّا عليها بحياتنا كلِّها، نحن المسيحيِّين، وهي الرسالة التي نؤمن بأنَّها تتطلَّب استجابةً منك أيضًا. إن كان هناك ما لا يمكنك تجاهله في هذا العالم، فسيكون صوتَ الله قائلًا: "إليك الخبر السارّ! ستجد هنا كيف يمكنك الخلاص من دينونتي!" هذا هو نوع الإعلان الذي يثير الانتباه.

الفصل ١

العثور على بشارة الإنجيل في الكتاب المقدَّس

هل تعلم أنَّ أنظمة الملاحة وتحديد المواقع (GPS) تسبِّب الكثير من الفوضى في مدنٍ عدَّة في كلِّ أنحاء الولايات المتَّحدة؟ لا سيَّما في المدن الصغيرة. فللذين يعيشون في المدن الكبرى، تُعدُّ الأجهزة الصغيرة أشبه بمنقذٍ لهم. يكفي أن تُشغِّل النظام وتكتب العنوان الذي تريده وستصل بسهولة، فلن تُخطىء أيَّ مخرج بعد الآن، ولن تدور حول منعطفاتٍ خاطئة- يكفي وجودك أنت وسيارتك وجهاز تحديد المواقع لتصل إلى وجهتك المطلوبة!

حصلتُ مؤخَّرًا على أوَّل جهاز لتحديد المواقع، وقد اشتريته أصلًا من باب تحدِّي الشخص المسؤول عن أنظمة الطرق المعقَّدة في العاصمة واشنطن (دون ذكر اسمه). ولكن لم تكن تجربتي الأولى للجهاز في واشنطن، بل في ليندن تكساس، وهي بلدتي البعيدة، الصغيرة والريفيَّة.

اتَّضح أنَّه لم يكن هناك أيَّة مشكلة لدى جهاز تحديد المواقع في التنقُّل بين شوارع واشنطن المتقاطعة ذهابًا وإيابًا. ولكنَّ الغريب أنَّه كانت لديه مشكلة في ليندن؛ فالطرقات التي كان الجهاز واثقًا بوجودها

لم تكن موجودةً في الواقع، وتبيَّن أنَّه كان مُصرًّا على وجود ما هو غير موجود. وتبيَّن أنَّ العناوين التي كنت متيقِّنًا من وجودها في مكانٍ ما، صارت أبعدَ مئات الأمتار أو أنَّها باتت غير موجودة.

من الواضح أنَّ جهل نظام تحديد المواقع في البلدان الصغيرة هو مشكلة متزايدة. فقد نشرت وكالة إيه. بي. سي (ABC) الإخباريَّة قصَّة طرقات أحد الأحياء الذي صارت شوارعه تجاريَّة بسبب توجيه جهاز تحديد المواقع الحركة المروريَّة إليه، بدلًا من الطرق السريعة الأكبر. هناك مشكلات أخرى أيضًا؛ فقد أصرَّ شابٌّ مسكين من كاليفورنيا على اتِّباع تعليمات جهاز تحديد المواقع حيث انعطف يمينًا على طريقٍ ريفيّ، فوجد نفسه عالقًا على مسار القطار، يحدق في المصباح الأماميِّ لقاطرة آتية نحوه! لقد نجا من تلك الحادثة، ولكنَّ سيَّارته المستأجرة وجهاز تحديد المواقع المخالِف لم ينجيا.

أبدى أحد ممثِّلي نادي السيَّارات الأميركيَّة تعاطفًا نوعًا ما إذ قال: "من الواضح أنَّ الجهاز خذلَه، بمعنى أنَّه لم يخبره بالانعطاف الصحيح على السكَّة الحديديَّة. ولكنْ لمجرَّد أن يقول لك جهازٌ ما يجب أن تفعلَه مع احتماليَّة خطورة ما تقوم به، فهذا لا يعني أن عليك القيام بذلك". هذا صحيح!

ما الذي يحدث إذًا؟ يقولُ مصنِّعو أجهزة تحديد المواقع إنَّ المشكلة لا تكمن في الأجهزة، فهي تقوم بما يُفترض أن تقومَ به تمامًا. ولكن المشكلة في الخرائط التي يجري تحميلها على تلك الأجهزة. وتبيَّن أنَّ الخرائط المُدرجة على أنظمة الملاحة وتحديد المواقع غالبًا ما تكون قديمة تعود

إلى عدَّة سنوات أو حتَّى عقود، ولا سيَّما خرائط البلدات الصغيرة. أحيانًا لا تكون الخرائط أفضل من خرائط التخطيط- فماذا سيفعل مخطِّطو المدن في حال نمو بلداتهم؟ ما النتيجة؟ أحيانًا تنتهي بعض العناوين المدوَّنة على خرائط التخطيط في مكانٍ آخر عندما تُبنى المدينة فعليًّا. وأحيانًا لا تُنجَز الشوارع التي أراد مخطِّطو المدينة تشييدها- وأحيانًا لا تُشيَّدُ بوصفها شوارع، بل تصير جزءًا من شبكة السكك الحديديَّة!

في عالمٍ حافلٍ بأجهزة تحديد المواقع، وكذلك في الحياة أيضًا، من المهمِّ أن تحصل على معلوماتك من مصدرٍ موثوق به!

ما مصدرُ السُّلطة عندك؟

يُطبَّق الأمر ذاته عندما نتناول سؤال ما هي بشارة الإنجيل؟ ففي البداية يجب أن نتَّخذ بعض القرارات بشأن مصدر المعلومات التي سنستخدمها للإجابة عن السؤال. فللإنجيليِّين، يأتي الردُّ المعتاد بسهولة: نجد الإجابة في الكتاب المقدَّس. هذا صحيح، ولكنَّ من المفيد أن نعلم مسبَّقًا أنَّ الجميع لا يتَّفقون تمامًا على تلك الإجابة. لقد قدَّمتْ مختلف التقاليد "المسيحيَّة" عددًا من الإجابات المختلفة عن سؤال مصدر السُّلطة هذا. مثلًا، ناقَشَ بعض الناس أنَّ علينا ألَّا نبني فهمَنا لبشارة الإنجيل على الكتاب المقدَّس فقط أو يكون هو اعتمادنا الأساسيّ، بل على التقليد المسيحيِّ أيضًا. حيث قالوا إنَّه إنْ آمنَتِ الكنيسةُ بأمرٍ ما لمدَّة زمنيَّة طويلة، فلا بدَّ أن ندركَ بأنَّه حقيقة. وقال آخرون إنَّنا نعرف الحقيقة باستخدام المنطق، فبناء معرفتنا من الألف إلى الياء- حيث (أ) تقود إلى (ب) تقود إلى (ت) تقود إلى (ث)- سيصل بنا إلى الفهم الحقيقيِّ لأنفسنا

والعالم والله. وقال آخرون إنَّه ينبغي أن نبحثَ عن حقيقة الإنجيل في خبرتنا الخاصَّة. فكلَّما تردَّد صداه في قلوبنا أكثر، تشكَّل في النهاية فهمُنا الصحيح عن أنفسنا وعن الله.

ومع ذلك، إذا أمضيتَ وقتًا كافيًا في التفكير، ستُدرك أنَّ كلَّ مصدر من مصادر السُّلطة الثلاثة المحتملة يفشل في النهاية في تحقيق ما يَعِدُ به. فالتقليد سيتركنا معتمدين على مجرَّد آراء بشرية. والمنطق، كما يقول لك أيُّ فيلسوف مبتدىء، سيتركنا نتخبَّط بالشكّ (مثلًا، حاول إثبات أنَّك لستَ مجرَّد نسج خيال شخصٍ آخر، أو أنَّك تمتلك خمس حواسَّ يمكن الاعتماد عليها). وستتركنا الخبرة الخاصَّة معتمدين على مشاعرنا المتقلِّبة كي نقرِّر ما هو حقيقيّ، وهو احتمال مقلق لأصدق الناس في أحسن الأحوال.

ماذا سنفعل الآن إذًا؟ إلى أين نذهب لنعرفَ الحقيقة؟ ومن ثَمَّ ما الخبر السارُّ الخاصُّ بيسوع المسيح؟ نؤمن، نحن المؤمنين بالمسيح، بأنَّ الله تحدَّث إلينا في كلمته، الكتاب المقدَّس. فضلًا عن ذلك، نؤمن بأنَّ ما قاله الله في الكتاب المقدَّس هو حقيقةٌ معصومةٌ من الخطأ، لذا فكلمته لا تقودنا إلى الشكِّ أو اليأس أو عدم اليقين، بل إلى الثقة. قال الرسول بولس في (٢تيموثاوس ٣: ١٦) "كُلُّ الكِتابِ هو مُوحًى به من الله، ونافعٌ لِلتَّعليم..." كما كتب الملك داوُد:

"الله طَرِيقُه كاملٌ. قَولُ الربِّ نَقِيٌّ.
تُرْسٌ هُوَ لِجَميعِ المحْتَمينَ به" (مزمور ١٨: ٣٠).

سنبحث إذًا في كلمة الله كي نجد ما قاله الله لنا عن ابنه يسوع وعن خبر الإنجيل السارّ.

أين نبحث في الكتاب المقدَّس؟

ولكن أين نبحث في الكتاب المقدَّس كي نجد ذلك؟ أعتقد أنَّ هناك عدَّة طرق مختلفة يمكننا اتِّخاذها. مثلًا، يمكننا النظر في كلِّ المواضع التي تكرَّرت فيها كلمة إنجيل في العهد الجديد، ونحاول التوصُّل إلى استنتاج معيَّن بشأن ما يقصده الكتَّاب عند استخدام هذه الكلمة. بالتأكيد هناك حالات قليلة حرص فيها الكتَّاب على تعريف الكلمة.

قد تكون هناك أمور مهمَّة يمكن تعلُّمها من هذا الأسلوب، ولكنَّ فيه عيوبًا أيضًا. فمثلًا، في معظم الأحيان يرغب كاتب العهد الجديد وبوضوح في إعطاء ملخَّص عن الخبر السارّ، ولكنَّه لا يستخدم كلمة إنجيل بتاتًا. مثلًا، لنأخذ عظة الرسول بطرس في يوم الخمسين في أعمال الرسل ٢. ربَّما ليس هناك إعلانٌ عن الخبر السارِّ في المسيحيَّة أوضح من هذا، ولكنْ لم يذكر الرسول بطرس كلمة إنجيل قَطّ. هناك مثل آخر وهو الرسول يوحنَّا، الذي يستخدم كلمة إنجيل في كتاباته في العهد الجديد مرَّةً واحدةً فقط (رؤيا ١٤: ٦)!

فلنعمَلِ الآن على مهمَّة تحديد الملامح الرئيسيَّة للإنجيل المسيحيّ، ليس بدراسة الكلمة بل بالنظر إلى ما قاله المسيحيُّون الأوائل عن يسوع، وأهمِّيَّة حياته وموته وقيامته. إذا نظرنا إلى كتابات الرسل والعظات في الكتاب المقدَّس، سنجدها تشرح ما تعلَّموه من يسوع نفسه عن الخبر السارّ، أحيانًا باختصارٍ شديد وأحيانًا بمزيد من التفصيل. ربَّما يمكننا استنتاج بعض الأسئلة الشائعة، وبعض الأُطر المشتركة عن الحقائق التي صاغ حولها الرسل والمسيحيُّون الأوائل عرضهم عن خبر يسوع السارّ.

بشارة الإنجيل في رسالة رومية ١-٤

أحد أفضل المواضع لبدء البحث عن تفسير أساسيٍّ للإنجيل هو رسالة الرسول بولس إلى أهل رومية. تحتوي رسالة رومية، ربَّما بوضوحٍ أكثر من أيِّ سفر آخر في الكتاب المقدَّس، على تعبير مدروس ومفصَّل لمفهوم الرسول بولس عن الخبر السارّ.

في الواقع، لا تُعدُّ رسالة رومية سِفرًا، على الأقلِّ بحسب مفهومنا عن السِّفر، بل هي رسالة- طريقة يقدِّم بها بولس نفسه ورسائله لمجموعة من المؤمنين الذين لم يلتقيهم من قبل. لذا تشعر بأنَّها رسالة منظَّمة ومفصَّلة. أراد بولس أن يعرف هؤلاء المؤمنون عنه وعن خدمته ولا سيَّما عن رسالته. أرادهم أن يعلَموا أنَّ الخبر السارَّ الذي كان يعظ به هو الخبر السارُّ نفسه الذي كانوا يؤمنون به.

"لأَنِّي لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ لأَنَّهُ قُوَّةُ اللهِ لِلخَلاصِ لِكُلِّ مَن يُؤمِنُ: لِلْيَهودِيِّ أَوَّلًا ثمَّ لِلْيونانيّ" (رومية ١: ١٦). من هنا وبتفصيلٍ رائع يفسِّر الرسول بولس، ولا سيَّما في الأصحاحات الأربعة الأولى، الخبر السارَّ عن يسوع. عندما نتفحَّص هذه الأصحاحات نرى أن بولس بنى تقديمه للإنجيل حول بعض الحقائق المهمَّة- حقائقَ تظهر مِرارًا وتَكرارًا في وعظ الرسل عن الإنجيل. فنُلقِ نظرةً على تطوُّر فكر الرسول بولس في رومية ١-٤.

أوَّلًا، يُخبر بولس قرَّاءه أنَّهم في موقع مساءلة أمام الله. بعد عباراته التمهيديَّة في رومية١: ١-٧، يبدأ عرضه لبشارة الإنجيل بالإعلان التالي "لأَنَّ غَضَبَ اللهِ مُعلَنٌ من السَّمَاء..." (العدد ١٨). يصرُّ الرسول بولس بكلماته الأولى على أنَّ البشريَّة ليست مستقلَّة. نحن لم نَخلِق أنفسنا، ولا

يمكننا الاعتماد على أنفسنا ولا حتَّى مساءلتها. لا، فالله هو مَن خلق هذا العالم وكلَّ ما فيه، بما فيه نحن أيضًا. ولأنَّ الله هو مَن خلقنا، فهو مَن لديه الحقُّ في مطالبتنا بعبادته. انظر لما يقوله الرسول بولس في العدد ٢١ "لأَنَّهُم لَمَّا عَرَفوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدوه أَو يَشْكُروه كإِلَهٍ بل حَمِقوا في أَفكارِهِم وأَظْلَمَ قَلبُهُم الغبيّ".

وهكذا يتَّهم بولس الجنس البشريّ بأنَّهم أخطأوا بعدم إكرامهم الله وشكره. ومن واجبنا نحن المخلوقين والذين نُعدُّ مُلكًا لله، أن نقدِّم له الإكرام والتمجيد الذي يستحقُّه، وأن نحيا ونتحدَّث ونتصرَّف ونفكِّر بطريقةٍ تُقِرُّ وتعترف بسلطانه علينا. هو مَن خلَقنا ونحن مُلكٌ له، نعتمد عليه لذا نقف في موقع مساءلة أمامه. هذه هي النقطة الأولى التي يجاهد بولس لصياغتها وهو يشرح الخبر السارَّ في المسيحيَّة.

ثانيًا، يخبر بولس قرَّاءه أنَّ المشكلة تكمن في تمرُّدهم على الله. فهُم- وكذلك الجميع- لم يكرموا الله ولم يشكروه كما ينبغي. قلوبهم الغبيَّة كانت مظلمة، "وَأَبدَلوا مَجدَ الله الَّذي لا يَفْنَى بِشِبْهِ صورَةِ الإنسانِ الذي يَفنى والطيورِ والدَّوابِّ والزَّحَّافات" (العدد ٢٣). إنَّها صورةٌ مقزِّزة حقًّا، أليست كذلك؟ فعندما ينظر الإنسان إلى خالقه ومن ثمَّ يقرِّر حسبان صورةٍ خشبيَّة أو معدِنيَّة لضفدعٍ أو طيرٍ أو حتَّى صورته أكثر بهاءً وقيمةً وإشباعًا، تكون هذه قمَّة الإهانة والتمرُّد على الله. وهذا هو جذر الخطيَّة وجوهرها، ونتائجها بشعةٌ جدًّا.

يشدِّد الرسول بولس في معظم الأصحاحات الثلاثة التالية على هذه النقطة، متَّهمًا كلَّ الجنس البشريِّ أنَّهم أخطأوا تُجاه الله. ينصبُّ تركيزه

في الأصحاح الأوَّل على الأمم، وفي الأصحاح الثاني يوجِّه كلامه وبالقوَّة نفسها إلى اليهود. وكأنَّ الرسول يعلَمُ أنَّ معظم اليهود سيُثنوا على انتقاده للأمم، وذلك بسبب برِّهم الذاتيّ. لذلك في (رومية ٢: ١) يتَّجه نحوهم ويشير بإصبعه متَّهمًا أولئك الذين أثنوا على انتقاده، قائلًا: "لِذَلِكَ أَنْتَ بِلا عُذْرٍ أَيُّهَا الإنسانُ كُلُّ مَن يَدينُ. لأَنَّكَ في مَا تَدِينُ غَيرَكَ تَحكُمُ على نَفسكَ. لأَنَّكَ أَنتَ الذي تَدينُ تَفعَلُ تِلكَ الأُمورَ بِعَينها". يقول إنَّ اليهود كالأمم تمامًا تجاوَزوا شريعة الله وسيخضعون لدينونته. وفي منتصف الأصحاح الثالث اتَّهم الرسول بولس الجميع بالتمرُّد على الله، "لأَنَّنَا قَد شَكَونا أَنَّ اليَهودَ واليونانِيِّينَ أَجمعينَ تَحتَ الخطيَّة" (العدد ٩). وكان استنتاجه الحكيم أنَّ جميعَ الأفواه ستصمت عندما نقف أمام الله القاضي. لا أحد سيدافع، ولن يُقدَّم أيُّ عذر. فالعالم كلُّه- بكلِّ بشره من يهود وأمم- سيكون تحت قصاص الله (العدد ١٩).

الآن، هاتان النقطتان الأوليان لا تُعدَّان خبرًا سارًّا بتاتًا. ولكنَّهما في الحقيقة خبران سيِّئان؛ فأن أتمرَّد على الله القدُّوس والقاضي الذي خلقني، ليست فكرةً مُفرِحة. ولكنَّها فكرةٌ مهمَّة لأنها تمهِّد الطريق أمام الخبر السارّ. ستجدها فكرةً منطقيَّة عندما تفكِّر في الأمر. فعندما يأتي إليك شخص ويقول لك إنَّه "آتٍ لكي يخلِّصك"، فلن يكونَ هذا الخبرُ سارًّا إلَّا عندما تؤمن بأنَّك بحاجة إلى الخلاص فعلًا.

ثالثًا، يقول بولس الرسول إنَّ الحلَّ الذي يقدِّمه الله لخطيَّة البشر هو موت يسوع المسيح كذبيحة، ثمَّ قيامته. فبعد أن بيَّنَ لنا الرسول بولس المأزق الذي نواجهه بوصفنا خطاةً أمام الله البارّ، ينتقل هنا إلى الخبر السارّ، بشارة إنجيل يسوع المسيح.

يقول بولس "وأمَّا الآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ الله بدونِ النَّاموس..." (العدد ٢١). بكلماتٍ أخرى، هناك طريقة لحسبان البشر أبرارًا أمام الله بدلَ حسبانهم أثمة، لئلَّا يُعدُّوا مذنبين بعد الآن بل أبرياء، ليُبرَّروا بدلَ أن يُدانوا. وهذا لا يحدث نتيجة تحسين سلوكيَّاتهم أو عيشهم بطريقةٍ صالحة، بل يحدث "دون الناموس".

كيف يحدث ذلك إذًا؟ يوضح بولس هذا الأمر في رومية ٣: ٢٤. رغم تمرُّدنا على الله وأمام الحالة الميؤوس منها، فإنَّه يسعُنا أن نكون "مُتبَرِّرينَ مجَّانًا بِنِعْمَتِه بِالفِداءِ الذي بِيَسوعَ المسيح". فبموت المسيح الكفَّاري وقيامته- بسبب دمه وحياته- يمكن أن ينال الخطاة الخلاص من الدينونة التي يستحقُّونها.

غير أنَّ هناك سؤالًا آخرَ يجيب عنه الرسول بولس. بصورة محدَّدة، كيف يمكن أن يكون هذا الخبر سارًّا لي؟ كيف يمكن أن يشملني هذا الخلاص الموعود به؟

أخيرًا، يُخبر بولس قرَّاءه عن كيفيَّة إدراج أنفسهم ضمن هذا الخلاص. وهذا ما يكتب عنه حتَّى نهاية الأصحاح الثالث وفي الأصحاح الرابع. فالخلاص الذي قدَّمه الله يتمُّ "بالإيمانِ بِيَسوعَ المسيح"، وهو مُتاح "إلى كلِّ وعلى كلِّ الذينَ يُؤمِنون" (رومية ٣: ٢٢). كيف إذًا يمكن أن يصيرَ هذا الخلاص خبرًا سارًّا لي تحديدًا، وليس لشخصٍ آخر؟ كيف يمكن أن يشملَني هذا الخلاص؟ بإيماني بيسوع المسيح. بالثقة بأنَّه هو الوحيد الذي يخلِّصني. ويوضح بولس قائلًا: "وأمَّا الذي لا يَعْمَلُ ولكنْ يؤمنُ بِالذي يُبرِّر الفاجِرَ فإِيمانُه يُحسَبُ له برًّا" (رومية ٤: ٥).

أربعة أسئلة حاسمة

الآن، بعد النظر إلى محاججة بولس في رومية ١-٤، يمكن أن نرى أنَّ في صميم إعلانه عن الإنجيل هناك إجابات عن أربعة أسئلة حاسمة:

١. مَن خلقنا؟ ومَن المسؤول عن محاسبتنا؟
٢. ما مشكلتنا؟ بكلماتٍ أخرى، هل نحن في ورطة؟ ولماذا؟
٣. ما الحلُّ الذي قدَّمه الله لهذه المشكلة؟ وماذا فعلَ ليخلِّصنا منها؟
٤. كيف يمكن أن أُدرَج أنا نفسي ضمن هذا الخلاص الآن؟ ما الذي يجعل هذا الخبر السارَّ خاصًّا بي، وليس بشخصٍ آخر؟

قد نلخِّص هذه النقاط الرئيسيَّة الأربع بالشكل التالي: الله والإنسان والمسيح والاستجابة.

يستمرُّ الرسول بولس في كشف عالمٍ من الوعود التي وعد بها الله المخلِّصين في المسيح، ويمكن تعريف الكثير من تلك الوعود بصورةٍ ملائمة جدًّا حاسبين إيَّاها الخبر السارَّ في المسيحيَّة، بشارة إنجيل يسوع المسيح.

غير أنَّ من المهمِّ جدًّا أن نفهمَ منذ البداية، أنَّ كلَّ هذه الوعود العظيمة تعتمد على هذا وتنبعُ منه، فهو صميم الخبر السارِّ ومنبعه في المسيحيَّة. ولا تتحقَّق تلك الوعود إلَّا لمَن غُفِرت خطيَّته بالإيمان بالمسيح المصلوب والمُقام. لذا عندما يريد بولس أن يعرض مركَز بشارة الإنجيل، يبدأ هنا بهذه الحقائق الأربع المهمَّة.

بشارة الإنجيل في بقيَّة العهد الجديد

لم ينفرد الرسول بولس بالقيام بذلك. فعندما أقرأ كتابات باقي الرسل في العهد الجديد، أراهم يجيبون عن هذه الأسئلة الأربعة مِرارًا وتَكرارًا. ماذا يمكنهم أن يقولوا أيضًا، إذ يبدو أنَّ هذه المسائل تكمن في صميم عرضهم لبشارة الإنجيل؟ فربَّما يتغيَّر السِّياق، أو الزوايا التي ينظر منها المرء، أو الكلمات أو الأساليب، ولكن بطريقةٍ ما يبدو أنَّ المسيحيِّين الأوائل نقلوا هذه المسائل الأربع دائمًا: نحن مسؤولون أمام الله خالقنا. لقد أخطأنا بحقِّ الله وسنُحاكم. ولكنَّ الله خلَّصنا في يسوع المسيح، ونحن نتمسَّك بذلك الخلاص بالتوبة عن الخطيَّة وبالإيمان بيسوع.

اللّه. الإنسان. المسيح. الاستجابة

فلنُلقِ نظرةً على بعض الفقرات الأخرى في العهد الجديد والتي لخِّصَتْ فيها بشارة إنجيل يسوع. مثلًا، فلنطَّلع على كلمات الرسول بولس الشهيرة في رسالة كورنثوس الأولى ١٥: ١-٥:

> "وأُعَرِّفُكُم أَيُّها الإخوةُ بالإنجيل الذي بَشَّرتُكُم به وقَبلتُموه وتَقومونَ فيه. وبه أَيضًا تَخلُصُونَ إن كُنتُم تَذكُرونَ أَيُّ كَلامٍ بَشَّرتُكُم به. إلَّا إذَا كُنتُم قَد آمَنتُم عَبَثًا! فَإنَّني سَلَّمتُ إلَيكُم في الأَوَّل مَا قَبلتُهُ أَنَا أَيضًا: أَنَّ المسيحَ مَاتَ من أَجل خَطَايَانَا حَسَبَ الكُتُب، وَأَنَّه دُفنَ وَأَنَّه قَامَ في اليَوم الثَّالث حَسَبَ الكُتُب، وأَنَّه ظَهَرَ لصَفَا ثُمَّ للاثنَي عَشَر".

هل ترى بنيةً مركَزيَّةً هنا؟ لا يبدو بولس متوسِّعًا في كلامه كما في

رسالة رومية ١-٤، ولكن لا تزال الملامح الرئيسيَّة واضحة. الجنس البشري في ورطة، فنحن غارقون في "خطايانا" وبحاجة لأن "نُخلَّص" (من قضاء الله الواضح، مع أنَّه يبدو ضمنيًّا)، ولكن هذا الخلاص يأتي بما يلي: "مات المسيح من أجل خطايانا...دُفِن...وقام". وهذا كلُّه "بالتمسُّك بالكلمة التي بشَّرتكم بها"، بالإيمان الحقيقيِّ لا العبثيّ. وهكذا نجد هناك: الله والإنسان والمسيح والاستجابة.

حتَّى في العظات المدوَّنة في سفر أعمال الرسل، يبدو واضحًا هذا الإطار المركزيُّ لبشارة الإنجيل. عندما يخبر الرسول بطرس الناس في يوم الخمسين بما ينبغي أن يفعلوه تجاوُبًا مع إعلانه عن موت يسوع وقيامته، يقول لهم "توبوا ولْيَعْتَمِدْ كلُّ وَاحِدٍ مِنكُم على اسمِ يَسوعَ المسيحِ لِغُفرانِ الخطايا فَتَقبَلوا عَطيَّةَ الرُّوح القُدُس".

مرَّة أخرى لم يكن نداء بطرس موسَّعًا، وكذلك حُكم الله كان ضمنيًّا، ومع ذلك فكلُّ النقاط موجودةٌ فيه. المشكلة: تحتاج إلى الله ليغفر خطاياك، فلا يحاكمك عليها. الحلّ: موت يسوع المسيح وقيامته، اللذان تحدَّث بهما بطرس مطوَّلًا في عِظَته. الاستجابة الضروريَّة: التوبة والإيمان المشهود لهما بالمعموديَّة.

في عظةٍ أخرى للرسول بطرس في أعمال الرسل ٣: ١٨-١٩ تبدو هذه الحقائق الأربع واضحة أيضًا:

> "وَأَمَّا الله فَمَا سَبَقَ وَأَنبَأَ به بأَفوَاه جَميع أَنبيَائه أَن يَتَأَلَّمَ المسيحُ قَد تَمَّمَه هَكَذا. فَتوبوا وَارجعوا لتُمحَى خَطَايَاكُم لكَي تَأتيَ أَوقَاتُ الفَرَج من وَجه الرَّبّ".

المشكلة: تحتاج لأن تُمحى خطاياك، وألَّا يُحاكمك الله. الحلّ: المسيح يتألَّم. الاستجابة: التوبة والرجوع إلى الله بإيمان.

ولنتأمَّلْ في البشارة التي كرز بها بطرس لكرنيليوس وعائلته:

> "ونحنُ شُهودٌ بكُلِّ ما فَعَلَ في كُورَة اليَهوديَّة وفي أُورُشَليمَ. الذي أَيضًا قَتَلُوه مُعَلِّقينَ إيَّاهُ عَلَى خَشَبَةٍ. هَذَا أَقَامَهُ الله في اليَوم الثَّالث وَأَعطَى أَن يَصيرَ ظَاهرًا، لَيسَ لجَميع الشَّعب بَل لشُهُودٍ سَبَقَ الله فَانتَخَبَهُم. لَنَا نَحنُ الذينَ أَكَلنَا وَشَربنَا مَعَه بَعدَ قيَامَته منَ الأَموَات. وَأَوصَانَا أَن نَكرزَ للشَّعب وَنَشهَدَ بأَنَّ هَذَا هُوَ المعيَّنُ منَ الله دَيَّانًا للأَحيَاء وَالأَموَات. لَه يَشهَدُ جَميعُ الأَنبيَاء أَنَّ كلَّ مَن يُؤمنُ به يَنَالُ باسمه غُفرَانَ الخَطايا" (أعمال الرسل ١٠: ٣٩-٤٣).

غفران الخطايا. باسم المصلوب المُقام. لجميع الذين يؤمنون.

بولس الرسول يَعِظ ببشارة الإنجيل نفسها أيضًا في أعمال الرسل ١٣:

> "فَليَكُن مَعلُومًا عندَكُم أَيُّهَا الرِّجالُ الإخوَةُ أَنَّه بهَذَا يُنادَى لَكُم بغُفرَان الخَطَايَا. وبهذا يَتَبَرَّرُ كلُّ مَن يُؤمنُ من كُلِّ مَا لَم تَقدروا أَن تَتَبَرَّروا منه بنَاموس مُوسى" (أعمال الرسل ١٣: ٣٨-٣٩).

مرَّة أخرى، الإطار الذي يمكن تمييزه بوُضوح هو الله والإنسان والمسيح والاستجابة. تحتاج إلى الله كي يضمن لك "غفران الخطايا"، وذلك بواسطة "يسوع"، وهذا يحدث "لكل مَن يؤمن".

شرح الحقائق الأساسيَّة بطرقٍ متنوِّعة

من الواضح أنَّ هذه الهيكليَّة- التي تتضمَّن الله والإنسان والمسيح والاستجابة- ليست صيغة مُلزِمة. فالرسل لا يضعون علامةً بجانب كلِّ نقطة وكأنَّها قائمة مرجعيَّة وهم يعلنون بشارة الإنجيل. ولكنَّهم يشرحون النقاط الأربع سواءً باستفاضة أم باختصار، وفقًا للسِّياق ومدَّة العظة ونوعيَّة المستمعين. وفي بعض الأحيان ترك إحدى النقاط لتبقى ضمنيَّةً ولا توضَّح صراحةً، ولا سيَّما النقطة التي تركِّز على مساءلتنا أمام الله، وأنَّه مَن يمنحنا الغفران. ولكنْ مرَّة أخرى، تلك الحقيقة متأصِّلة بعمقٍ في أذهان اليهود الذين يعظهم الرسل في معظم الأحيان.

ومن ناحيةٍ أخرى، عندما يتحدَّث بولس إلى مجموعة من الفلاسفة الوثنيِّين في المجمع، يبدأ في البداية بحقيقة الله ذاته. وكثيرًا ما يُستَشهَد بعِظةِ الرسول بولس في أعمال الرسل ١٧ بوصفها نموذجًا للكرازة بالخبر السارِّ للثقافة الوثنيَّة. ولكنَّ هناك أمرًا مثيرًا للاهتمام وغير عاديٍّ في تلك العظة. تفحَّصْها بدقَّة، فتدركَ أنَّ الرسول بولس لا يعلن الخبر السارَّ عن المسيح بتاتًا، بل تجده يعلن الأخبار السيِّئة فقط!

حيث يبدأ بخاطبهم قائلًا: "فلأخبركم عن الإله المجهول الذي وضعتُم مذبحًا له"، ثمَّ يفسِّر لهم في الأعداد ٢٤-٢٨ أنَّ هناك إلهًا هو الله، هو الذي خلق العالم، وهو يدعونا لعبادته. هذا هو الأساس، ثمَّ ينتقل في العدد ٢٩ ليوضحَ مفهومَ الخطيَّة وجذورها في عبادة الأشياء المخلوقة بدلَ عبادة الله، ويُعلن أنَّ الله سيَدين سامعيه بواسطة "رَجلٍ قَد عَيَّنَه مُقَدِّمًا لِلْجَميع إيمانًا إِذ أَقَامَه منَ الأَموات" (العدد ٣١).

وبعد ذلك يتوقَّف! تأمَّل في كلماته جيِّدًا. ليس هناك أيُّ ذِكر للغفران، ولا للصليب، كما لا يوجد أيُّ وعد بالخلاص- بل مجرَّد إعلان عن مطالب الله وإعلان عن القيامة كدليل على قضائه الآتي! ولم يذكر بولس حتَّى اسمَ يسوع!

ما الذي يحدُثُ هنا إذًا؟ ألا يعظُ الرسول بولس بالإنجيل هنا؟ حسنًا، هذا ليس بالأمر الجيِّد. ليس هناك إنجيل، ولا خبر سارٌّ في عظته العامَّة؛ فكلُّ ما يعلنه الرسول هو أخبارٌ سيِّئة. ولكن انظر إلى الأعداد ٣٢-٣٤، حيث يذكر الكتاب المقدَّس أنَّ الرجال أرادوا أن يستمعوا إلى بولس مرَّة أخرى، وأنَّ بعضَهم آمنَ في النهاية. يبدو أنَّ الرسول بولس بشَّر بالخبر السارِّ لاحقًا- أنَّه يمكن للخطاة أن يخلصوا من الدينونة الآتية- ربَّما علنًا أو سرًّا.

كان بولس، مثل باقي الرسل، قادرًا تمامًا على تقديم حقائق الإنجيل الجوهريَّة بطرقٍ متنوِّعة. ولكنَّ من المهمِّ أن نفهم أنَّ هناك بالفعل بعضَ الحقائق الجوهريَّة في الإنجيل، والتي استطعنا بالعظات والرسائل المحفوظة لدينا أن نعرفها جيِّدًا. ففي رسالتي رومية وكورنثوس الأولى؛ وفي العظات المسجَّلة في سفر أعمال الرسل وفي كلِّ العهد الجديد، بنى المسيحيُّون الأوائل إعلانَهم عن الخبر السارِّ حول بعض الحقائق المهمَّة.

في البداية، الأخبار السيِّئة: الله هو الديَّان، وأنت أخطأتَ بحقِّه، وهو مَن سيدينك. ثمَّ بشارة الإنجيل: ولكنَّ يسوع مات كي تُغفَر خطايا الخطاة، إذا تابوا وآمنوا به.

الفصل ٢

اللّه الخالق البارّ

فلأقدِّم لكم الإله (لاحظوا أنِّي لم أقل الله). ربَّما ترغب في خفض صوتك قليلًا قبل المتابعة. ربَّما يكون نائمًا الآن. إنَّه قديم، وكما تعلم ربَّما لا يفهم كثيرًا العالم الحديث أو قد لا يحبُّه. عصره الذهبيّ- تلك الأيَّام التي يتحدث بشأنها عندما تدعه يتابع كلامه- كان منذ زمنٍ بعيد، حتَّى قبل ولادة معظمنا. كان ذلك في الماضي عندما اهتمَّ الناس بفكره تجاه أمورٍ ما، وحسبوه أمرًا مهمًّا في حياتهم.

دون شكّ، كلُّ ذلك تغيَّر الآن، والإله- المسكين- لم يُحسن التأقلُمَ. استمرَّتِ الحياةُ ومرَّت به مرور الكرام. والآن، يُمضي معظم وقته متمسِّكًا بالجنَّة القديمة. أذهب أحيانًا إلى رؤيته، وهناك نتلكَّأ ونمشي ونتحدَّث بهدوء ورقَّة بين الورود...

على أيَّة حال، يبدو أنَّ هناك كثيرًا من الناس ما زالوا معجَبين به- أو على الأقلِّ يمكنه أن يحافظ على تأييدٍ شعبيٍّ بنسبة عالية جدًّا. وستُدهَش من عدد الناس الذين يزورونه ويطلبون منه أمورًا في كلِّ مرَّة وفي كلِّ حين. وبالتَّأكيد، هذا أمر جيِّد له؛ فهو موجود هنا للمساعدة.

يا لسعادتنا لأنَّ جميع النزعات الغريبة التي كنَّا نقرأ عنها أحيانًا في

أسفاره القديمة- كابتلاع الأرض للناس، والسماء تمطر نيرانًا على المدن، وأشياء من هذا القبيل- يبدو أنَّها تلاشت مع الزمن. وهو الآن مجرَّد صديق لطيف، لا يتطلَّب الكثير، ومن السهل التحدُّث إليه، لا سيَّما أنَّه لا يجيب إلَّا نادرًا، وعندما يجيب، يخبرني عادةً ببعض "العلامات" القليلة الغريبة ما أريد القيام به سواء كان الأمر مقبولًا لديه أم لا. هذا أفضل نوع من الأصدقاء، أليس كذلك؟

ومع ذلك كلِّه، هل تعلم أفضل شيء عنه؟ أنَّه لا يحكم عليَّ. فهو لا يَدينني على أيِّ شيء. بالتأكيد أنا أعلم في أعماقي أنَّه يتمنى أن أكون أفضل- أن أكونَ أقلَّ أنانيَّة ومحبًّا أكثر وما شابه- ولكنَّه واقعيّ. هو يعلم أنِّي إنسانٌ ولا إنسانَ كاملٌ. وأنا واثقٌ تمامًا بأنَّه يتفهَّم هذا الأمر. علاوةً على أنَّ العفوَ عن الناس هو دَوره، هذا ما يفعله. ففي النهاية الله محبَّة، أليس كذلك؟ وأنا أفضِّل أن أفكِّر في المحبَّة أنَّها "لا تَدين، بل تغفر فقط". هذا هو الإله الذي أعرفه. ولا أودُّ أن أتقبَّله بطريقةٍ أخرى.

حسنًا، توقَّفْ لحظةً! يمكننا أن نتعمَّق أكثر الآن. ولا تقلق، لن نُضطرَّ إلى البقاء طويلًا. حقيقةً، إنَّه شاكرٌ لأيِّ وقت يمكن أن يحصل عليه.

افتراضاتٌ عن اللّه

حسنًا، حسنًا. هذا الكلام المشوَّش هو فقط جزء من الجانب المثير للسُّخرية. ولكنِّي أتساءل ما إذا كان هذا حقًّا ما يفكِّر فيه معظم الناس عن الله، بما فيهم مَن يَدْعون أنفسَهم مسيحيِّين. لدى الأغلبيَّة هو لطيف واجتماعيّ، مذهولٌ قليلًا ومحتاج ولكنَّه مُحبٌّ جدًّا، لديه أمنيات ولكن ليست لديه مطالب، يمكن تجاهله بسهولة إذا لم يكن لديك الوقت الكافي

له، وهو متفهِّم جدًّا جدًّا لحقيقة أنَّ البشر يخطئون، وهو متفهِّم لذلك أكثر بكثير من بقيَّتنا.

هذه هي الحال حتَّى لو لم يطلق الناس على أنفسهم اسم مسيحيِّين؛ إذ لديهم فهمٌ أساسيٌّ لتعليم الكتاب المقدَّس عن الله وعن شخصيَّته. لقد كان جزءًا من الجوِّ الذي يتنفَّسه الناس، وكما فعل الرسل مع أتباع يسوع، يمكنك وضع بعض الافتراضات عمَّا يعرفه الناس عندما تُقدَّم بشارة الإنجيل لهم.

هذا الأمر لم يَعُدْ صحيحًا، على الأقلِّ في معظم أنحاء العالم. لقد ترعرعتُ في بلدة شرق ولاية تكساس، وفي معظم الوقت كنت أروي بشارة الإنجيل لشخصٍ ما ضمن تدريبي على رسالة كانوا قد سمعوها مسبَّقًا آلاف المرَّات. ولكن بدا العالم مختلفًا تمامًا، عندما بدأتُ دراستي الجامعيَّة في نيو هيفن (NewHaven)، ولاية كونكتكت (Connecticut). فجأةً، صرتُ محاطًا بأناسٍ لم يسمعوا عن الله في نشأتهم- أناسٍ تحدَّوا الفكرة منذ البداية. أذكر المرَّة الأولى التي قابلتُ فيها شخصًا تجاوب مع ذكري لله، قائلًا: "لا بدَّ أنك تمزح! هل تؤمن بذلك؟" ثمَّ ضحك.

تكرَّرت تلك الواقعة عشرات المرَّات على مرِّ السنوات القليلة التالية، وتعلَّمتُ في النهاية أن أقول: "نعم، أنا أومن". ولكنِّي تعلَّمت بسرعةٍ إلى حدٍّ ما، أنه لا يمكنني بناء افتراضاتٍ عمَّا يعرفه الناس عن الله. فإذا كنت سأعلن إنجيل يسوع المسيح اليوم، سأبدأ من البداية، وأتكلَّم عن الله نفسه.

دون شكّ، يمكنك أن تُمضي عمرك كلَّه في دراسة ما أعلنه الله لنا عن

نفسه (وعليك القيام بذلك)، وليس من المفترض أن تقولَ كلَّ ما تعرفه عن الله كي تقدِّم بشارة الإنجيل بإخلاص. ولكنَّ هناك بعضَ الحقائق الأساسيَّة عن الله، والتي يجب أن يعرفَها الشخص كي يفهمَ ما يحدث في الخبر السارِّ في المسيحيَّة. فكِّر في الأمر وكأنَّه خبر سارٌّ أتى بعد خبر سيِّىء أتى بعد خبر سارّ!

هناك نقطتان أساسيَّتان يجب توضيحهما منذ البداية: الله هو الخالق، وهو قدُّوسٌ وبارّ.

الله الخالق

إنَّ بداية الرسالة المسيحيَّة- بل بداية الكتاب المقدَّس فعليًّا- هي أنَّ "في البدء خلق الله السموات والأرض". إنَّ كلَّ شيء يبدأ من تلك النقطة، وإساءة فهم ذلك تشبه إطلاق السَّهم من قوسٍ دون تحديد الهدف بصورةٍ جيِّدة؛ فكلُّ ما يتبع ذلك سيكون خطأ.

يبدأ سفر التكوين بقصَّة خلق الله للعالم: جباله ووديانه، وحيوانات وأسماكه، وطيوره وزواحفه وجميع ما فيه. وخلق الله بقيَّة الكون أيضًا: النجوم والقمر، والكواكب والمجرَّات. لقد تمَّ كلُّ شيء بكلمته المنطوقة، وكل شيء خُلقَ من العدم. لم يأخُذِ الله بعضَ الموادِّ الموجودة مسبَّقًا، وشكَّلها مثل الصلصال لتصيرَ على صورة مختلف الأشياء التي نراها اليوم في العالم. لا، يخبرنا سفر التكوين بأنَّه قال فكان. "فقال ليكن نور، فكان نور".

هناك الكثير من المقاطع في الكتاب المقدَّس تروي لنا كيف شهدت الخليقة نفسها عن مجد الله وقوَّته. ففي (مزمور ١٩: ١) نقرأ:

"السَّمَاوَاتُ تُحدِّثُ بِمَجْد الله والْفَلَكُ يُخْبرُ بِعَمَلِ يَدَيه". ويقول الرسول بولس في رسالة رومية ١: ٢٠: "لأَنَّ منذُ خَلْقِ العالَمِ تُرى أُموره غَيرُ المنظُورة وقُدرَتُه السَّرمَديَّةُ ولاهوتُه مُدرَكَةً بِالمصنوعاتِ حتَّى إِنَّهُم بلا عُذْرٍ". إذا سبق لك ووقفتَ على حافَة وادٍ سحيق ورأيتَ الطيور تحلِّق تحتك والغيوم تمتدُّ فوق رأسك؛ أو إذا سبق لك ووقفتَ في حقلٍ وشعرت بخوف صغير يتدفَّق إلى قلبك وأنت تشاهد دوران العاصفة الرعديَّة في ما وراء الأفق، حينئذٍ ستعرف معنى ذلك. هناك شيءٌ ما كامن في عظمة الخليقة التي تنادي في قلب الإنسان قائلةً له: "أنت لست الوحيد الموجود هنا!"

مع كلِّ يومٍ جديد، تتَّسع قصَّة الخليقة المدوَّنة في سفر التكوين في مجالها وأهمِّيَّتها. ففي البداية خُلِق النور ومن ثمَّ البحر، فالأرض، ثمَّ القمر والشمس، بعدهما الطيور والأسماك والحيوانات، وبعد ذلك، في ذروة عمل الله الخلَّاق، خلقَ الرجل والمرأة.

> "وقَالَ الله: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ على صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيرِ السَّمَاءِ وَعَلَى البَهَائم وَعَلَى كلِّ الأَرض وعلى جَميع الدَّبَّاباتِ التي تَدبُّ على الأَرض». فَخَلَقَ الله الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. على صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُم" (تكوين ١: ٢٦-٢٧).

أيًّا كان ما تفكِّر فيه عن قصَّة الخليقة، فالآثار المترتِّبة على هذا الادِّعاء- أنَّ الله خلق العالم، ولا سيَّما الله خلقَك أنت- هي آثارٌ هائلة جدًّا. ففكرة أنَّ العالم نفسه ليس هو الذروة المطلقة، بل هو ينبع من

عقل شخصٍ آخر وكلمته ويده، هي فكرة ثوريَّة ولا سيَّما في أيَّامنا هذه. خلافًا لفكرة العدم التي تسيطر على الكثير من الفكر البشريّ، هذه الفكرة الثوريَّة تعني أنَّ لكلِّ ما في هذا الكون قصد، ولا سيَّما البشر. فنحن لسنا نتيجةً لصدفةٍ عشوائيَّة وطفرات وراثية، واندماجٍ لتلك الجينات ونتاج الصبغيَّات الوراثيَّة. بل نحن مخلوقون! كلٌّ منَّا هو نتيجةُ فكرِ الله ذاته وخُطَّته وعمله. وهذا ما يعطي لحياة الإنسان المعنى، ويضع عليه المسؤوليَّة (تكوين ١: ٢٦-٢٨).

ليس هناك كائن مستقلٌّ بذاته، وفهمنا لهذه الحقيقة هو مفتاحٌ لفهم الإنجيل. فمع كلِّ حديثنا المستمرِّ عن الحقوق والحرِّيَّات، فإنَّنا لسنا أحرارًا كما نعتقد؛ فنحن مخلوقون ومصنوعون، لذا نحن ملكٌ لِمن خلقنا.

ولأنَّ الله خلقنا، فلديه الحقُّ أن يقولَ لنا كيف نحيا. وهكذا، في جنَّة عدن أخبر آدم وحوَّاء عن الأشجار التي من حقِّهم أن يأكلوا منها، وتلك التي لا يمكنهم الأكل منها (تكوين ٢: ١٦-١٧). لم يكن الأمر كأنَّ الله يتصرَّف كطفل في تعلُّمه السُّلطة، يسيطر على أخيه الأصغر ويضعُ القوانين التعسُّفية لمجرَّد أن يشاهد ما سيحدث. كلَّا، إذ يخبرُنا الكتاب المقدَّس بأنَّ الله صالح. هو يعلم الأفضل لشعبه، وقد وضع لهم القوانين التي تحفظ سعادتهم وخيرهم وتزيدهما.

إنَّ فهمنا لهذا الأمر ضروريٌّ جدًّا إذا أراد أحدٌ أن يفهمَ الخبر السارَّ في المسيحيَّة. فالإنجيل هو استجابة الله تجاه أخبار الخطيَّة السيِّئة، والخطيَّة هي رفض الشخص لحقوق الله عليه بوصفه الخالق. لذا،

فالحقيقة الأساسيَّة للوجود البشريّ، والنبع الذي يتدفَّق منه كلُّ شيء، هي أنَّ الله خلقنا، وهكذا فإنَّه مَن يمتلكنا.

اللّه القدُّوس والبارّ

إذا طُلِبَ منك وصف شخصيَّة الله في كلماتٍ قليلة، ماذا ستقول؟ إنَّه مُحِبٌّ وصالح؟ إنَّه رحيم ويغفر الإثم؟ هذا كلُّه صحيح. عندما طلب موسى من الله أن يريَه مجده ويعلن له عن اسمه، أجابه الله قائلًا:

> "الرَّبُّ إلهٌ رَحيمٌ ورَؤوفٌ، بَطيءُ الغَضَب وَكَثيرُ الإحسَان وَالوَفَاء. حَافظُ الإحسَان إلَى أُلُوفٍ. غَافرُ الإثم والمعصيَة والخطيَّة. ولَكنَّه لَن يُبرئَ إبرَاءً. مُفتَقدٌ إثمَ الآبَاء في الأَبنَاء وَفي أَبنَاء الأَبنَاء في الجيل الثَّالث والرابع" (خروج ٣٤: ٦-٧).

ما أروع ذلك! عندما يريد الله أن يخبرنا عن اسمه ويُظهر لنا مجده- وفي الحقيقة يرينا قلبه- ماذا يقول؟ يقول إنَّه محبٌّ ورحيم، بطيء الغضب وكثير المحبَّة. ولكنَّ هناك أمرًا يُغفَلُ عادةً في هذه الآيات، وهو أمر غير مريح البتَّة. هل تعلم ما قال الله لموسى بعد أن قال له مباشرةً إنَّه رحيم ومُحبّ؟

> "ولَكنَّهُ لَن يُبرئَ إبرَاءً..." (العدد ٧).

فلنُلقِ نظرة أخرى على هذه الآية؛ لأنَّها تنسف نحو ٩٠٪ ممَّا يعتقد الناس اليوم أنَّهم يعرفونه عن الله. الله المُحب الرحيم لا يترك المذنب دون عقاب.

كثيرًا ما يُنظر إلى الله على أنَّه يشبه عامل النظافة عديم الضمير، فبدلَ أن يتعامل فعليًّا مع قذارات العالم- الخطيَّة والشرِّ والإثم- يُخفي تلك القذارات ببساطة، متجاهلًا إيَّاها وراجيًا ألَّا يلحظَها أحد. في الحقيقة، هناك الكثير من الناس الذين لا يقتنعون بالله الذي قد يفعل غير ذلك. حيث يقولون: "يَدين الله الخطيَّة؟ يعاقبني على الإثم؟ بالتَّأكيد لن يفعل ذلك. فهذه ليست محبَّة".

سنرى لاحقًا كيف يُحلُّ هذا التناقض، الذي يبدو صعبًا في خروج ٣٤: ٦-٧ (إلهٌ يغفر الإثم والعصيان والخطيَّة، ولكنَّه لا يترك المذنب دون عقاب)، وذلك بموت يسوع على الصليب.

ولكن قبل الوصول إلى تلك النقطة، يجب أن نفهمَ أنَّه رغم كلِّ الاحتجاجات على ما هو خلاف ذلك، فإنَّ محبَّة الله لا تلغي عدلَه وبره.

فالكتاب المقدَّس يعلن مِرارًا وتَكرارًا أنَّ إلهنا هو إله العدالة الكاملة والبرِّ الحقيقيّ. يقول في مزمور ١١: ٧:

"لأَنَّ الرَّبَّ عَادلٌ وَيُحبُّ العَدلَ.
المستَقيمُ يُبصرُ وَجهَهُ".

يعلن كاتب المزمور "يُحبُّ البرَّ وَالعَدلَ..." (مزمور ٣٣: ٥)، وأُعلن في مزمورَين ما هو أبعد من ذلك "العَدلُ وَالحَقُّ قَاعدَةُ كُرسيِّكَ..." (مزمور ٨٩: ١٤، ٩٧: ٢)! هل ترى ما تقوله هذه الآيات؟ إنَّ حُكم الله لهذا الكون، وسيادته على الخليقة، مؤسَّسٌ على بقائه إلى الأبد بارًا وعادلًا على نحوٍ كامل.

لذا فإنَّ فكرةَ تشبيه الله بعاملِ النظافةِ عديمِ الضمير، لا تستوفي الحقيقة. إنَّها تصوِّر الله بأنَّه ظالم وليس بارًّا. تجعل منه إلهًا يخفي الخطيَّة ببساطة- بل يختبىء منها- بدلَ مواجهته للخطيَّة والقضاء عليها. إنَّها تجعله جبانًا أخلاقيًّا.

ومَن يريد إلهًا كهذا؟ من المثير للاهتمام أن تراقبَ الناسَ الذين يصرُّون على فكرة أنَّ الله لن يَدينهم، عندما يتواجَهون مع شرٍّ واضح. فعندما يتواجَهون مع شرٍّ مرعبٍ حقًّا، عندئذٍ يطلُبون عدالة الله، ويريدونه على الفور. يريدون أن يتغاضى الله عن خطيَّتهم، لكن ألَّا يتغاضى عن خطايا الإرهابيِّين، فيقولون: "سامحني، ولكنْ إيَّاك أن تسامحَهم!" هل ترون؟ لا أحد يريد إلهًا يرفض التعامل مع الشَّرّ. يريدون إلهًا يرفض التعامل مع شرِّهم هم فقط.

ولكن يخبرنا الكتاب المقدَّس بأنَّه لأنَّ الله عادل وبارٌّ تمامًا، فهو يتعامل بحزم مع كلِّ شرّ. يقول حبقوق ١: ١٣:

> "عَينَاكَ أَطهَرُ من أَن تَنظُرَا الشَّرَّ وَلا تَستَطيعُ النَّظَرَ إِلَى الجَور فَلِمَ تَنظُرُ إِلَى النَّاهبينَ وَتَصمُتُ حينَ يَبلَعُ الشرِّيرُ مَن هو أَبَرُّ منه؟".

وللقيام بذلك، عليه أن يتخلَّى عن أساس عرشه. بل أكثر من ذلك، سيكون عليه التخلِّي عن ذاته، والله لن يفعل ذلك.

ليست هناك مشكلة لدى معظم الناس عندما يفكِّرون في الله بوصفه إلهًا مُحبًّا ورحيمًا. ونحن المؤمنين قمنا بعمل ممتاز لنُقنعَ العالم بأنَّ الله

يحبُّهم. ولكن إذا أردنا أن نفهم كم أنَّ إنجيل يسوع المسيح مجيدٌ ومانحٌ للحياة، فعلينا أن نفهم أنَّ هذا الإله المـُحبَّ والرحيم، قدُّوسٌ وبارٌّ أيضًا، وهو لا يتغاضى عن الخطيَّة ولا يتجاهلها ولا يتساهل معها بتاتًا. بما في ذلك خطايانا نحن. الأمر الذي يؤدِّي بنا دون شكّ إلى الأخبار السيِّئة.

الفصل ٣

الإنسان الخاطئ

كان الأمر غايةً في البساطة! كلُّ ما فعلتُه هو أنِّي دفعتُ ثانيةً غرامة وقوف سيَّارتي. قرأت مبلغَ الغرامة، قلبت المخالفةَ وتحقَّقت من المربَّع المصرَّح فيه أنِّي "مذنب ويجب أن أدفع غرامة"، فكتبت شيكًا بقيمة ٣٥ دولارًا لقسم مرور متروبوليتان، وختمتُ المغلَّف ووضعته في البريد.

أنا مُدانٌ بجريمة.

ولكن لسببٍ ما؛ مع أنِّي تحقَّقت من المربَّع المصرَّح فيه أنِّي "مذنب"، فلم أشعر بالذَّنب الرهيب. لن أفقد هدوئي لأنِّي تجاوزت القانون. لم أشعر بالحاجة إلى طلب غفران أحد، وكلُّ ما أفكِّر فيه الآن هو أنِّي مستاء لأنَّ المخالفة كانت أكثر من سابقتها بمقدار ١٠ دولارات.

لماذا لا أشعر بالاستياء نتيجة تجاوزي القانون؟ أفترض السبب هو أنِّي عندما أفكِّر جيِّدًا في الأمر أجدُ أنَّ تجاوزَ لائحة تنظيم مواقف السيَّارات لا يبدو بالأمر المهمِّ عندي، أو لا يبدو أمرًا شنيعًا. صحيحٌ أنِّي في المرَّة المقبلة سأحرص بالتَّأكيد على وضع المزيد من المال في عدَّاد جهاز الوقوف، لكنِّي لم أشعر بتأنيب الضمير على كلِّ ما حدث.

لاحظتُ على مرِّ السنين أنَّ معظم الناس يميلون إلى التفكير في الخطيَّة،

ولا سيَّما خطيَّتهم هم، بطريقة لا تختلف كثيرًا عن طريقة تفكيرهم في مخالفة قوانين مواقف السيَّارات. فنحن نعتقد أنَّ "الخطيَّة من الناحية الفنِّيَّة هي بالتأكيد انتهاكٌ للقانون الذي أصدره الله من الأعالي، وما إلى ذلك. غير أنَّ من المؤكَّد أنَّه يعلم أنَّ هناك مجرمين أكثر منِّي. فضلًا عن أنَّه لم يتأذَّ أحد، وأنا على استعداد لدفع الغرامة. وليس هناك احتياج إلى هذا القدر من محاسبة الذات على أمرٍ كهذا، أليس كذلك؟

حسنًا، لا أعتقد ذلك، على الأقلِّ إذا كنَّا نفكِّر في الخطيَّة بتلك الطريقة الباردة. ولكنْ وَفقًا للكتاب المقدَّس، الخطيَّة أكثر من مجرَّد انتهاك لبعض لوائح المرور السماويَّة، المجرَّدة غير الشخصيَّة والتعسُّفيَّة. بل هي تعدٍّ ضمن علاقة، بل هي رفضٌ لله نفسه- رفضٌ لحكم الله، وعنايته، وسلطانه، وحقِّه في قيادة أولئك الذين وهبهم الحياة. باختصار، الخطيَّة هي تمرُّدُ المخلوق على خالقه.

ما الخطأ الذي حدث؟

عندما خلق اللهُ البشر، كانت رغبته أن يعيشوا في ظلِّ حكمه الصالح في فرحٍ كامل، يعبدونه ويطيعونه، وهكذا يعيشون في شركةٍ دائمة معه. وكما رأينا في نهاية الفصل السابق، خلق الله الرجل والمرأة على صورته، ويعني هذا أنَّ عليهم أن يكونوا مثله، ليَكونوا في علاقةٍ به ويعلنوا مجده للعالم. علاوةً على ذلك، وضع اللهُ دَورًا للبشر ليقوموا به. إذ كانوا في منصب نائب الحاكم، ومهمَّتهم أن يحكموا العالم تحت قيادته. "أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ وَأَخْضِعُوهَا وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ البَحرِ وَعَلَى طَيرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرضِ" (تكوين ١: ٢٨).

ولكن لم تكن سلطة الرجل والمرأة على الخليقة مطلقة؛ فالله منحهما ذلك السلطان. إذًا عندما مارس آدم وحوَّاء سلطتَهما على العالم، كان عليهما أن يتذكَّرا أنَّهما خاصعان لله وتحت سلطانه. هو مَن خلقهما، لذا لديه الحقُّ أن يأمرهما.

كانت شجرة معرفة الخير والشرِّ التي زُرعت في وسط الجنة، تذكيرًا صارخًا بهذه الحقيقة (تكوين ٣: ١٧). فعندما كان آدم وحوَّاء ينظران الشجرة وثمارها، كانا يتذكَّران أنَّ سُلطتَهما كانت محدودة، وأنَّهما مخلوقان معتمدان على الله حتَّى نهاية حياتهما. فلم يكن دَورُهما سوى الإشراف، والله هو الملك.

لذلك، عندما أكل آدم وحوَّاء من الثمرة، لم ينتهكا فقط بعض الأوامر التعسُّفيَّة، "لا تأكلا من ثمر هذه الشجرة"، بل ما فعلاه كان أمرًا محزنًا جدًّا وأكثر جدِّيَّة. لقد رفضا سُلطة الله عليهما وأعلَنا استقلاليَّتهما عنه. لقد أرادَ آدم وحوَّاء أن يكونا "مثل الله" كما وعدتهما الحيَّة، لذا استولى كلٌّ منهما على ما اعتقده فرصةً كي يتولَّى النائب السلطةَ ويأخذ التاجَ لنفسه. في كلِّ الكون، كان هناك أمرٌ وحيد لم يُخضعْه الله تحت قدمي آدم- الله ذاته. ولكن قرَّر آدم أنَّ هذا الاتِّفاق لم يكن جيِّدًا بما يكفي له، ولهذا تمرَّدَ.

إنَّ أسوأ ما في الأمر، أنَّ آدم وحوَّاء بعصيانهما أمر الله، اتَّخذا قرارًا واعيًا برفضه ملكًا عليهما. كانا يعرفان عواقب عصيانهما له، فقد أخبرهما الله بعباراتٍ واضحة جدًّا أنَّهما إنْ أكَلا من تلك الشجرة "موتًا يموتان"، ممَّا يعني أنَّهما سيُطردان من محضر الله، ويصيران عدوَّين له، عِوَضًا عن

أن يكونا صديقَيه ومسرَّة قلبه (تكوين ٢: ١٧). ولكنَّهما لم يكترثا، واستبدَلا بالخير الذي لهما مع الله السعيَ وراء متعتهما ومجدهما.

يسمِّي الكتاب المقدَّس هذا العصيان لأوامر الله- سواء بالكلام أم بالفكر أم بالفعل- أنَّه "الخطيَّة". إنَّ معنى الكلمة حرفيًّا هو "عدم إصابة الهدف"، ولكن معنى الكلمة بحسب الكتاب المقدَّس أعمق من ذلك بكثير. فليس الأمر كأنَّ آدم وحوَّاء حاولا جاهدَين الحفاظ على وصيَّة الله، ولكنَّهما انحرفا عن الهدف المطلوب ببضع درجات. كلَّا، الحقيقة هي أنَّهما كانا يصوِّبان في الاتِّجاه المعاكس تمامًا! فقد كانت لديهما أهدافٌ ورغباتٌ معاكسة لرغبة الله لهما قطعًا، وهكذا وقعا في الخطيَّة. لقد انتهكا وصيَّة الله عمدًا، وتعدَّيا على علاقتهما به، وأعلنا رفضَهما له بوصفه ربًّا شرعيًّا.

كانت عواقب خطيَّة آدم وحوَّاء كارثيَّة عليهما وعلى ذريَّتهما وعلى بقيَّة الخليقة. فقد طُردا من جنَّة عدن المثاليَّة، ولم تَعُد الأرضُ تُنبتُ لهما من ثمرها وكنوزها بسرور وطواعيَّة، بل باتَ عليهما أن يعملا بجدٍّ وألمٍ ليحصُلا على ثمارها. والأسوأ من ذلك، قضى الله بالموت على حياتهما. كما نعلم، لم يموتا جسديًّا مباشرةً؛ فقد استمرَّتْ حياتهما برئتَين تتنفسَّان وقلبٍ ينبضُ وأطرافٍ تتحرَّك. ولكنِ انتهتْ حياتَهما الروحيَّة على الفور، وهذا أهمُّ ما في الأمر. لقد تحطَّمت علاقتهما بالله، وذَبُل قلبهما وامتلأ ذهنهما بالأفكار الأنانيَّة، وأظلمت أعيُنهما عن جمال الله، وصارت روحهما جافَّة وقاحلة وفارغة تمامًا من تلك الحياة الروحيَّة التي منحهما إيَّاها الله في البدء، عندما كان كلُّ شيء حسنًا.

ليس هما فقط، بل نحن أيضًا

يخبرنا الكتاب المقدَّس بأنَّ آدم وحوَّاء ليسا هما المذنبَين فقط. بل جميعنا مذنبون. فيقول الرسول بولس في (رومية ٣: ٢٣) "إذ الجَميعُ أَخطَأُوا وَأَعوَزَهُم مَجدُ الله". كما يقول قبل ذلك ببضع آيات (رومية ٣: ١٠) "لَيسَ بَارٌّ وَلا وَاحدٌ".

إنَّ إنجيل يسوع المسيح ملآنٌ بالحجارة المعثِرة، وهذه واحدة من أكبر تلك الحجارة. فعند الناس الذين يعتقدون أصلًا أنَّهم صالحون ومكتفون ذاتيًّا، تبدو فكرة أنَّ الإنسان خاطئٌ ومتمرِّدٌ ليست فقط فكرة مخزية، بل أيضًا مثيرةً للاشمئزاز.

لذا من المهمِّ جدًّا أن نفهمَ طبيعة خطيَّتنا وعمقها. إذا تعاملنا مع بشارة الإنجيل حاسبين أنَّ الخطيَّة هي أمرٌ مختلف أو أنَّها أقلُّ من حقيقتها، فسنُسيء فهمَ بشارة يسوع المسيح بشدَّة. فلأضربْ لكم بعض الأمثلة عن كيفيَّة إساءة فهم بعض المؤمنين للخطيَّة.

الخلط ما بين الخطيَّة وآثار الخطيَّة

في الآونة الأخيرة، صار من الشائع تقديم بشارة الإنجيل بالقول إنَّ يسوع جاء ليخلِّص البشريَّة من الشعور الفطريِّ بالذَّنب أو اللَّامعنى أو اللَّاهدف أو الفراغ. بالتَّأكيد تلك المشاعر هي مشكلات حقيقيَّة، وهناك كثيرون يعانون جرَّاءها على نحو كبير. ولكنْ يعلّمنا الكتاب المقدَّس أنَّ مشكلة البشريَّة الأساسيَّة- الأمر الذي نحتاج إلى الخلاص منه- ليس هو الشعور باللَّامعنى أو بالتفكُّك في حياتنا، ولا حتَّى الشعور بالذَّنب، وهو شعور

متعب؛ فتلك المشاعر هي مجرَّد أعراض لمشكلة أعمق بكثير: خطيَّتنا. وما علينا فهمه هو أنَّ المأزق الذي نحن فيه هو من صنع أيدينا. لقد عصينا كلمةَ الله، وتجاهَلْنا أوامره. لقد أخطأنا تجاهه.

والحديث بشأن الخلاص من الشعور بعدم وجود المعنى والهدف، دون تتبُّع تلك المشاعر إلى عمق جذورها المتأصِّلة في الخطيَّة، قد يجعل العلاج يغوص بصورةٍ أسهل، ولكنَّه العلاج الخاطئ. فهو يسمح للشَّخص بأن يستمرَّ في التفكير في نفسه على أنَّه ضحيَّة ولا يتعامل فعليًّا مع حقيقة أنَّه مجرم وأثيم ويستحقُّ الدينونة.

تصغير الخطيَّة إلى علاقةٍ هزيلة

تُعدُّ العلاقة أمرًا مهمًّا في الكتاب المقدَّس. إذ خُلق البشر وكان الهدف أن يعيشوا في شركة مع الله. غير أنَّ ما علينا تذكُّره هو أنَّه كان هناك نوع من العلاقة من المفترض أن يعيشوها، ليست علاقة بين طرفَين متساويين، ولم يكن القانون والدينونة والعقاب جزءًا من المشهد كلِّه، بل هي علاقة ما بين ملكٍ ورعاياه.

يتحدَّث كثيرٌ من المسيحيِّين بشأن الخطيَّة كما لو أنَّها مجرَّد خلافٍ في العلاقة ما بين الله والإنسان، وكلُّ ما نحتاج إليه هو الاعتذار وقبول غفران الله ببساطة. ولكنَّ تلك الصورة عن الخطيَّة كما لو أنَّها خلافٌ ما بين حبيبَين، تشوِّه العلاقةَ التي نحن مقيمون فيها مع الله. فهي توصل إلينا فكرة عدم وجود تجاوزٍ للقانون، ولم تُنتهكِ العدالة، ولا يوجد غضبٌ بارٌّ، ولا حكمٌ مقدَّس. لذا ليس هناك احتياج إلى بديل يحمل هذا الحُكم أيضًا.

يعلِّمنا الكتاب المقدَّس أنَّ الخطيَّة هي بالفعل تجاوزٌ للعلاقة بالله، غير أنَّ هذه العلاقة الهزيلة تجسِّد رفضَ سيادته بوصفها الملك. إنَّها ليست مجرَّد زنى فقط (مع أنَّها كذلك)؛ بل هي تمرُّدٌ أيضًا. ليست فقط خيانة، بل هي أيضًا خيانة عُظمى. وإذا اختزلنا الخطيَّة بالقَول إنَّها مجرَّد تجاوُزِ العلاقة بدلَ فهمها بوصفها تمرُّدًا خائنًا اقترفَه شخصٌ محبوبٌ ضدَّ ملكه الصالح والبارّ، فلن ندرك بتاتًا ضرورةَ موت ابن الله لمعالجتها.

الخلط ما بين الخطيَّة وطريقة التفكير السلبيّ

هناك سوء فهم آخر عن الخطيَّة، ذاك الذي يعرِّف الخطيَّة بأنها مجرَّد تفكيرٍ سلبيّ. رأينا في بعض الاقتباسات المدوَّنة في مقدِّمة هذا الكتاب جملًا مثل: تخلَّص من زقاقك القديم! فكِّر بطريقةٍ أفضل! يريدُ الله أن يبيِّنَ لك صلاحه العجيب، إذا تخلَّصتَ من طرق تفكيرك السلبيَّة القديمة التي تمسَّكت بها!

حتَّى الآن، هذه رسالة مقنعة للنَّاس الذين يعتمدون على ذواتهم، الذين يريدون أن يصدِّقوا أنَّ في وُسعهم التعامل مع خطيَّتهم بأنفسهم. وعلى الأرجح هذا ما ساعد الرجال الذين أعلنوا هذه الرسالة على بناء أكبر الكنائس في العالم. فبالحقيقة، هذه المعادلة سهلة جدًّا. أخبر الناس فقط بأنَّ خطاياهم ليست أكثر من مجرَّد أفكار سلبيَّة، وهذه الأفكار هي ما يمنع عنهم الصحَّة والغنى والسعادة. ثمَّ قل لهم إنَّهم إنْ فكَّروا بطريقة إيجابيَّة أكثر في أنفسهم (بالتَّأكيد بمساعدة الله)، سيتخلَّصون من خطيَّتهم ويصيرون أغنياء. بسرعة! ستجد كنيسةً ضخمة فوريَّة.

أحيانًا يكون الهدف المنشود هو المالَ وأحيانًا الصحَّة، أو أمرًا آخرَ تمامًا. لكنْ مهما يكن الأمر، فالقَول إنَّ يسوع المسيح مات ليخلِّصنا من الأفكار السلبيَّة التي لدينا عن أنفسنا، هو أمرٌ مستهجَن وغير كتابيّ. في الحقيقة، يعلِّمنا الكتاب المقدَّس أنَّ جزءًا كبيرًا من مشكلتنا هو أنَّنا نفكِّر بتَعالٍ في أنفسنا ولا نفكر باتِّضاع. توقَّف وفكِّر في الأمر لِلَحظة. كيف أغوت الحيَّة آدم وحوَّاء؟ لقد أخبرتهما بأنَّهما كانا يفكِّران بطريقةٍ سلبيَّة تجاه نفسَيهما. أخبرتهما بأنَّهما يحتاجان لأن يفكِّرا بإيجابيَّةٍ أكثر، وأن يفهما أكثر ليَصِلا إلى إمكاناتهما الكاملة ويصيرا كالله! بكلمة واحدة، قالت لهما أن يفكِّرا بصورةٍ أكبر.

الآن، كيف سيكون هذا الأمر في مصلحتهما؟

الخلط ما بين الخطيَّة والخطايا

هناك فرق شاسع ما بين إدراكك أنَّك مذنب لارتكابك خطايا معيَّنة، ومعرفتك لنفسك بأنَّك مذنب بسبب الخطيَّة. معظم الناس ليس لديهم أيَّة مشكلة بالاعتراف أنَّهم ارتَكَبوا خطايا ما (بالجمع)، على الأقلِّ ما داموا يفكِّرون في أنَّها مجرَّد أخطاء صغيرة منفردة ضمن حياة جيِّدة- مخالفة موقف سيَّارات هنا أو هناك تُسجَّل على سجلٍّ نظيف تمامًا.

الخطايا لا تصدمنا كثيرًا. فنحن نعلم أنَّها موجودة، ونراها في أنفسنا وفي الآخرين يوميًّا، وقد اعتدناها تمامًا. ولكنَّنا نُصدم عندما يبيِّن لنا الله الخطيَّة التي تمتدُّ إلى أعمق أعماق قلوبنا، والترسُّبات العميقة من النجاسة والفساد والتي لم نعلَمْ بوُجودها بتاتًا والتي لا نستطيع محوَها

البتَّة. هكذا يتحدَّث الكتاب المقدَّس بمدى عمق خطيَّتنا وظلمتها- إنَّها فينا، وليست فقط علينا.

يوجد في الطابق الثاني في المتحف الوطنيِّ للتاريخ الطبيعيِّ في واشنطن، بحسب ما يُقال، أكبر كرة كوارتز[1] خالية من الشوائب والعيوب في العالم كلِّه. هذه الكرة أكبر من كرة السلة بقليل، وليس فيها أيُّ خدش مرئي، أو أيِّ أثر لعلامة أو تغيُّر في اللون بتاتًا. إنَّها كاملة. وفي كثيرٍ من الأحيان يعتقد الناس أنَّ طبيعة الإنسان ككرة الكوارتز تلك. نعم، قد نشوِّهها بين الحين والآخر ببعض الأوساخ والطين، ولكنْ تحت الأوساخ تبقى نقيَّة كما كانت، ولا نحتاج سوى إلى مسحها وتنظيفها لاستعادة لمعانها.

ولكن الصورة في الكتاب المقدَّس عن طبيعة الإنسان ليست جميلة. فوفقًا للكتاب المقدَّس، لا تبدو كرة الطبيعة البشريَّة نقيَّة بتاتًا، والطين لا يلطِّخ الخارج فقط، بل على العكس تمامًا، فالخطيَّة تخترقنا إلى الأعماق. الشقوق والطين والفساد والنجاسة تتوغَّل إلى المركز في قلوبنا.

كما قال الرسول بولس، إنَّنا "بالطَّبيعَة أَبناءَ الغَضَب..." (أفسس ٢: ٣). لقد تشاركنا في ذنب آدم وفساده (رومية ٥). علَّمنا يسوع هذا أيضًا: "لأَن منَ القَلب تَخرُجُ أَفكَارٌ شرِّيرةٌ: قَتلٌ زنًى فسقٌ سرقةٌ شَهادَةُ زُورٍ تَجديفٌ" (متَّى ١٥: ١٩). الكلمات الخاطئة التي تقولها والتصرُّفات الخاطئة التي تفعلها ليست مجرَّد حوادث منفردة فقط، بل هي تنبثق من الشرِّ الموجود في قلبك.

---

١) الكوارتز هو معدِن شفاف لا لون له، يوجد في كثير من الصخور ويتألَّف من ثاني أكسيد السيليكون (المترجم).

لقد تلف كلُّ جزء من الوجود البشريِّ بسبب الخطيَّة وتحت سلطتها. حيث استَعبدَتِ الخطيَّة فهمَنا وشخصيَّتنا ومشاعرنا وعواطفنا، بل حتَّى إرادتنا. لذلك يقول بولس في (رومية ٨: ٧) "لأَنَّ اهتمَامَ الجَسَد هُوَ عَداوَةٌ للَّه إذ لَيسَ هُوَ خاضعًا لنَاموس الله لأَنَّه أَيضًا لا يَستَطيع". يا لها من آية مروِّعة ومخيفة! وهكذا تكون سيطرة الخطيَّة الشاملة علينا- على عقولنا وإدراكنا وإرادتنا- أنَّنا نرى مجد الله وصلاحه، ونبتعد تمامًا عنه باشمئزاز.

لا يكفي أن نقول إنَّ يسوع جاء إلى العالم ليخلِّصنا من خطايانا، إن كنَّا نقصد أنَّه جاء ليخلِّصنا من أخطائنا المنفردة. فقط عندما ندرك أنَّنا ولدنا بطبيعةٍ خاطئة جدًّا؛ وأنَّنا بالفعل "أَموات بالذُّنُوب والخَطايَا" (أفسس ٢: ١، ٥) كما يقول بولس- عندئذٍ نرى الخبرَ السارَّ ونُسَرَّ بوجود طريق لخلاصنا.

دينونة الله الحاسمة للخطيَّة

تُعدُّ رومية ٣: ١٩ من أكثر الجمل المرعِبة في الكتاب المقدَّس. تردُ هذه الآية في نهاية اتِّهام بولس لكلِّ البشريَّة- الأمم أوَّلًا، ثمَّ اليهود- بأنَّها تحت الخطيَّة، وأنَّ الجميع خطاة كلِّيًّا أمام الله. وإليكم ما يقوله بولس هنا، في استنتاجه لهذه المسألة: "ونحنُ نَعلَمُ أَنَّ كلَّ مَا يَقُولُه النَّاموسُ فَهوَ يُكَلِّمُ به الذينَ في النَّاموس لكَي يَستَدَّ كلُّ فَمٍ وَيَصيرَ كلُّ العَالَم تَحتَ قصاصٍ من الله".

هل يمكنك تخيُّل معنى هذه الآية؟ أن تقفَ أمام الله دون أن يكونَ لديك أيُّ تفسير أو التماس أو عذر أو حجَّة؟ وما معنى أن تكونَ تحت قصاصٍ من الله؟ إنَّ الكتاب المقدَّس واضحٌ تمامَ الوضوح، كما رأينا في الفصل السابق؛ حيث إنَّ الله قدُّوسٌ وبارّ، لذلك فلن يبرِّر الخطيَّة. ولكن

عند لله، ماذا يعني أن يتعامل مع الخطيَّة ويدينها ويعاقبها؟

يقول بولس في رومية ٦: ٢٣: "لأَنَّ أُجرَةَ الخطيَّة هيَ مَوتٌ..." بكلماتٍ أخرى، الموت هو ما نستحقُّه ثمنًا لخطايانا. وهذا الموت ليس فقط موتًا جسديًّا، بل هو أيضًا موتٌ روحيّ- انفصالٌ قسريٌّ لأنفسنا الخاطئة البائسة عن حضور الله القدُّوس والبارّ. ويصفه النبيُّ إشعياء كالآتي:

"بَل آثَامُكُم صَارَت فَاصلَةً بَينَكُم وَبَينَ إلَهكُم، وَخَطَايَاكُم سَتَرَت وَجهَهُ عَنكُم حتَّى لا يَسمَعَ" (إشعياء ٥٩: ٢).

يتحدَّث الناس أحيانًا بهذا الأمر كما لو أنَّه غيابٌ سلبيٌّ وصامت لله، ولكنَّه أكثر من ذلك. فهو دينونة الله الحاسمة للخطيَّة، ويقول الكتاب المقدَّس إنَّها ستكون مرعبة. انظر كيف يصفُ سفر الرؤيا شكل النهاية في اليوم الذي سيَدين فيه الله الصالح والعادل العالمَ. سيسكب الملائكة السبعة "جَامَات غَضَب الله عَلَى الأَرض...ويَنوحُ عَلَيه جَميعُ قَبَائل الأَرض" (رؤيا ١٦: ١، ١: ٧). وسيدعون الصخور والجبال "اسقُطي عَلَينَا وَأَخفينَا عَن وَجه الجَالس عَلَى العَرش وَعَن غَضَب الحَمَل، لأَنَّه قد جَاءَ يَومُ غَضَبه العَظيمُ. ومَن يَستَطيعُ الوُقوفَ؟" (رؤيا ٦: ١٦-١٧). وسيرَون يسوعَ، ملكَ الملوك وربَّ الأرباب، وسينحنون أمامه لأنَّه "يَدُوسُ مَعصَرَةَ خَمر سَخَط وَغَضَب الله القَادر عَلَى كُلِّ شَيءٍ" (رؤيا ١٩: ١٥).

ويعلِّمنا الكتاب المقدَّس أنَّ المصيرَ النهائيَّ للخطاة الذين لم يتوبوا ويؤمنوا هو مكانٌ أبديٌّ فيه عذابٌ دائم وهم في كامل وعيهم، يدعى "الجحيم". ويصفه يوحنَّا في سفر الرؤيا بأنَّه "بُحَيرَة النَّار وَالكبريت"، ويقول عنه يسوع إنَّه مكانُ "النَّار التي لاَ تُطفأ" (رؤيا ٢٠: ١٠؛ مرقس ٩: ٤٣).

نظرًا إلى الطريقة التي يتحدَّث بها الكتاب المقدَّس عن الجحيم وتحذيرنا منه، لا أفهم ما الذي يدفع بعض المؤمنين بالمسيح لأن يفسِّروا الجحيم بطريقةٍ تجعلُه قابلًا للاحتمال. عندما يتكلَّم سفر الرؤيا عن يسوع وهو يدوس معصرة سخط الله القدير وغضبه؛ وبينما يحذِّر يسوع بنفسه من "النَّار التي لا تُطفَأُ...حَيثُ دُودُهُم لا يَمُوتُ وَالنَّارُ لا تُطفَأُ" (مرقس ٩: ٤٣، ٤٨)، فسؤالي المحيِّر هو: ما مصلحة أيِّ مؤمن من التقليل من بشاعة هذا الأمر؟ لماذا نريح الخطاة على وجه الأرض بفكرة أنَّ الجحيمَ لن يكونَ بهذا السوء في النهاية؟

لم نبتكرْ نحن هذه الفكرة

إنَّ الصور التي يستخدمها الكتاب المقدَّس في حديثه بشأن دينونة الله على الخطيَّة مرعِبةٌ حقًّا. ولا عجب في أنَّ العالم الذي يقرأ الأوصاف التي يُطلقُها الكتاب المقدَّس على "الجحيم"، يدعو المؤمنين "بالمرضى" لأنَّهم يصدِّقونها. ولكنَّ ذلك يضيِّع الهدف، فلَسْنا نحن مَن ابتكَرْنا هذه الأفكار بأنفسنا. فنحن المؤمنين لا نقرأ ونؤمن ونتحدَّث بشأن الجحيم لأنَّنا نستمتع بطريقةٍ ما بالتَّفكير فيه. لا. إنَّنا نتحدَّث بشأنه؛ لأنَّنا في النهاية نصدِّق الكتاب المقدَّس- نصدِّقه عندما يخبرنا بأنَّ الجحيمَ حقيقةٌ، ونصدِّقه وعيوننا ملآنة بالدُّموع، عندما يخبرنا بأنَّ أحبَّاءنا في خطرِ قضاء أبديَّتهم هناك.

هذا هو حُكم الكتاب المقدَّس الواقع علينا. وليس هناك بيننا مَن هو بارّ، ولا واحدٌ منَّا. وبسبب ذلك، سيُسكَتُ كلُّ لسان، وسيوضَع حدٌّ لكلِّ لسانٍ مستهزىء، وسيُحاسَب العالم بأسره أمام الله...

لكن...

الفصل ٤

يسوع المسيح المخلِّص

ختمنا الفصل السابق بكلمة "لكن"، وهي كلمة من أقوى الكلمات التي يمكن أن ينطقها الإنسان. رغم أنَّها كلمة صغيرة، فإنَّها قادرة على الإطاحة بكلِّ ما سبقها. نجدها تأتي بعد أخبار سيِّئة كتلك التي سمعناها للتَّوّ، ولديها القدرة على رفع العيون إلى أعلى واستعادة الأمل. لهذه الكلمة القدرة على تغيير كلِّ شيء، أكثر من أيَّة كلمة أخرى يمكن أن ينطقَها لسانُ إنسان.

- سقطت الطائرة، لكن لم يُصَبْ أحدٌ بأذى.
- أنت مصابٌ بالسَّرطان، لكن يمكن علاجه بسهولة.
- تعرَّض ابنك لحادث سير، لكنَّه لم يتأذَّ.

للأسف، هناك أوقات لا تَظهَرُ فيها كلمة "لكن". فالجملة تنتهي أحيانًا ولا نسمع سوى الأخبار السيِّئة. غير أنَّنا نختبرُ اللحظات الرائعة فقط في الأوقات التي تظهرُ فيها كلمة "لكن"، وهي أوقاتٌ مجيدة.

نشكر الله لأنَّ الأخبار السيِّئة حول خطيَّة الإنسان ودينونة الله ليست هي نهاية القصَّة. لو انتهى الكتاب المقدَّس بإعلان بولس الرسول

أنَّ العالم كلَّه سيقف صامتًا أمام عرش دينونة الله، لما كان لنا رجاءٌ في المستقبَل، وما كان ينتظرنا سوى اليأس. لكن (ها نحن نجد الكلمةَ هنا) شكرًا لله لأنَّ هناك المزيد.

أنت خاطئ مصيرك الدينونة. لكن تصرَّف الله ليخلِّص الخطاة مَن هم مثلك تمامًا!

كلمة رجاء

يبدأ البشير مرقس روايتَه عن حياة يسوع بالكلمات التالية "بَدءُ إنجيلِ يَسوعَ المسيحِ ابنِ اللَّه". لقد عرف مرقس والمسيحيُّون الأوائل منذ البداية أنَّ مجيء يسوع المسيح كان الخبر السارَّ لعالمٍ مدمَّر وميت عند أقدام الخطيَّة. في أعقاب الدمار الذي خلَّفته الخطيَّة، كان مجيء يسوع أشبَهَ بإعلانٍ مدوٍّ خارق غيَّر كلَّ شيء بعده!

حتَّى في جنَّة عدن، أعطى الله آدم وحوَّاء كلمة رجاء- بعض الأخبار السارَّة في خضَمِّ يأسهم. لم تكن كلماتٍ كثيرةً، بل كانت إشارةً- عبارةً عُلِّقت في نهاية الجملة التي وجَّهها الله ضدَّ الحيَّة.

"...هو يَسْحَقُ رَأسَكِ
وأنتِ تَسحَقينَ عَقِبَه" (تكوين ٣: ١٥).

ولكنَّه كان يمثِّل أمرًا ما. فقد أرادَ الله أن يعرفَ آدمُ وحوَّاء، العاصِيَين، أنَّ القصَّة لم تنتهِ. وهنا نجد بصيصًا من البشارة- شيئًا من الأخبار السارَّة وسط الكارثة.

وتروي لنا بقيَّة الكتاب المقدَّس كيف نبتت تلك البذرة الصغيرة

من الأخبار السارَّة وتبرعمَتْ ونمت. منذ آلاف السنين، أعدَّ الله العالم بالشريعة والنبوَّة لتوجيه ضربته القاضية المذهلة بحقِّ الحيَّة، في حياة يسوع المسيح وموته وقيامته. وعندما انتهى كلُّ شيء، هُزِم الذَّنْب الذي ألحقه آدم بنسله كلِّه؛ فالموت الذي أعلنَه الله على خليقته سيموت، وسيركع الجحيم على ركبتَيه. الكتاب المقدَّس هو قصَّة هجوم الله المضادِّ على الخطيَّة. إنَّه قصَّة كبيرة تروي كيف حقَّق الله ذلك ويحقِّقه بصورةٍ صحيحة، وكيف سيتمِّمه في يومٍ ما على نحو صحيح إلى الأبد.

إلهٌ كامل، إنسانٌ كامل

يبدأ جميع كتَّاب الأناجيل قصصَهم عن حياة يسوع بإيضاح أنَّه كان رجلًا عاديًّا. يروي البشيران متَّى ولوقا قصَّة ملاكٍ جاء إلى فتاةٍ عذراء اسمها مريم، وأخبرها بأنَّه ستحبل يطفل. سألته مريم وهي مرتابة: "كَيفَ يكونُ هَذا وأنا لَستُ أَعرفُ رَجُلًا؟" فشرح لها الملاك بالقَول: "الرُّوحُ القُدُسُ يَحِلُّ عَلَيكِ وقُوَّةُ العَليِّ تُظلِّلُكِ فَلذَلكَ أَيضًا القدُّوسُ المولودُ منكِ يُدْعى ابنَ الله" (لوقا ١: ٣٤-٣٥).

يبدأ يوحنَّا بجملةٍ مدهشةٍ أكثر: "في البَدْء [كلمات تُعيدُنا بقوَّة إلى تكوين ١: ١] كانَ الكَلمَةُ، والكَلمَةُ كانَ عندَ اللَّه، وكانَ الكَلمَةُ اللَّه... والكَلِمةُ صارَ جَسَدًا وحَلَّ بَينَنا" (يوحنَّا ١: ١، ١٤).

كلُّ هذا- ولادة يسوع من عذراء، ولقب "ابن الله"، وتأكيد يوحنَّا أنَّ "الكلمة كان الله"، وإعلانه أنَّ "الكلمة صار جسدًا"- الهدف منه هو تعليمنا عن شخص يسوع.

ولكن ببساطة، يخبرنا الكتاب المقدَّس أنَّ يسوع هو إنسانٌ كامل وإلهٌ كامل. وهذه نقطة مهمَّة وحاسمة يجب أن نفهمَها عنه؛ لأنَّ الإنسان الكامل، ابن الله ذو الطبيعة الإلهيَّة الكاملة، هو الوحيد القادر على فدائنا. إذا كان يسوع مجرَّد إنسان آخر مثلنا في كلِّ شيء، بما في ذلك سقوطنا وخطيَّتنا، فلن تزيدَ قدرته على إنقاذنا عن قدرة رجل ميت يمكن أن ينقذَ رجلًا آخر.

لكنْ لأنَّه هو ابن الله، دون خطيَّة ومساوٍ لله الآب في الكمال الإلهيّ، هو قادرٌ على هزيمة الموت وتخليصنا من خطيَّتنا. وبالطريقة نفسها، من الضروريِّ جدًّا أن يكونَ يسوع واحدًا منَّا- أي إنسانًا كاملًا حتَّى يتمكَّن من تمثيلنا بالصورة الصحيحة أمام أبيه. وكما يشرح كاتب رسالة العبرانيِّين (٤: ١٥) يسوع قادر "أن يَرثِيَ لِضَعَفاتِنا... [لأنَّه] مُجرَّبٌ في كلِّ شَيءٍ مِثلُنا، بلا خَطِيَّة".

المسيح الملك- هنا!

عندما بدأ يسوع خدمتَه، أعلنَ رسالة رائعة: "لقد حان الوقت. وملكوت الله صار في متناول اليد. توبوا وآمنوا بالخبر السارّ!".

تَعِظُ كلمة هذا الرجل بأنَّ ملكوت الله جاء، وسرعان ما انتشر في جميع أنحاء البلاد. وسرعان ما اجتمعت الناس المتحمِّسون حول يسوع ليسمعوا "الخبر السارّ" الذي كان يعلنه. ولكن ما المثير في هذا الخبر؟

على مدى عدَّة قرون، أنبأ الله بشريعته وأنبيائه، عن الوقت الذي سيضع فيه حدًّا لشرِّ العالم مرَّة وإلى الأبد، وسيُنقذ شعبه من خطيَّتهم.

سيكتسح كلَّ المقاومة ويؤسِّسَ حكمَه أي "مملكته" على الأرض. بل أكثر من ذلك، وعد الله بأنَّه سيؤسِّس مملكتَه في شخص ملكٍ مسيانيٍّ، واحدٌ من النسب الملكيِّ للملك العظيم داوُد. وفي ٢صموئيل ٧: ١١ وعد الله داوُد أنَّ واحدًا من أبنائه سيحكم على عرشه إلى الأبد. وقال النبيُّ إشعياء عن هذا الابن المَلَكي:

> "لأَنَّه يولَدُ لَنا وَلَدٌ وَنُعطَى ابنًا، وَتَكُونُ الرِّياسَةُ على كَتفه، ويُدعَى اسمُهُ عَجيبًا، مُشيرًا، إلهًا قَديرًا، أَبًا أَبَديًّا، رَئيسَ السَّلام. لنُمُوِّ ريَاسَته وللسَّلاَم لا نهَايةَ على كُرسيِّ داوُدَ وعلى مَملكَته، ليُثبِّتَها ويعضُدَها بالحقِّ والبرِّ من الآن إلى الأبَد. غَيرةُ رَبِّ الجُنود تَصنَعُ هذا" (إشعياء ٩: ٦-٧).

لذا يمكنك أن تتخيَّل الحماسَ السائدَ عندما أعلنَ يسوع أنَّ ملكوتَ السماء أتى. ذاك يعني أنَّ المسيَّا الذي طال انتظاره من نسل داوُد، صار هنا أخيرًا! أصرَّ كُتَّاب الأناجيل على أنَّ الملك الآتي من نسل داوُد هو يسوع نفسه وليس غيره. ويدوِّن لوقا كلمات الملاك لمريَم وهو يبشِّرها بولادة يسوع:

> "هذا يكونُ عَظيمًا وابنَ العَليِّ يُدعَى ويُعطيه الربُّ الإله كرسيَّ دَاوُدَ أبيه. ويَملكُ على بَيت يَعقوبَ إلى الأبد ولا يَكونُ لملكه نهايةٌ" (لوقا ١: ٣٢-٣٣).

يبدأ البشيرُ متَّى إنجيله بسلسلة نسب تتبع أصل يسوعَ بالرُّجوع مباشرةً إلى الملك داود، ثمَّ إلى إبراهيم. الأمر المثير هو أنَّ متَّى يقسِّم

سلسلة النسب بأسلوبٍ معيَّن ضمن ثلاثة أجيال كلٌّ منها مؤلَّف من أربعة عشر اسمًا. وكما يعلم جيِّدًا أيُّ يهوديّ، الرقم أربعة عشر هو الرقم الناتج عن إضافة قيم الأحرف العبريَّة الثلاث في اسم داوُد (بالعبريَّة يُكتب الاسم: دَوُد، الدال هو الحرف الرابع والواو هو السادس، فيصير مجموع قيمة الأحرف ٤+٦+٤=١٤، المـُحرِّر). عمليًّا، يصرخ متَّى- وكذلك جميع المسيحيِّين- في بداية قصَّته عن يسوع، إنَّه "ملك! ملك! ملك!".

خبرٌ سارٌّ غير متوقَّع- في حال حصولك عليه

إذًا يروي العهد الجديد قصَّة تدشين الملك يسوع لملكوت الله على الأرض، والبدء بانحسار لعنة الخطيَّة. وذلك رغم أنَّ المملكة التي افتتحها يسوع لم تشبه المملكة التي توقَّعها وأرادها اليهود؛ إذ إنَّهم أرادوا مسيحًا من شأنه أن يؤسِّس مملكة أرضيَّة سياسيَّة تطيح بالإمبراطورية الرومانيَّة، القوَّة الحاكمة في ذلك اليوم، وتحلُّ محلَّها. ولكنَّ يسوعَ لم يكن يبحث عن تاجٍ دنيويٍّ بتاتًا، بل عن تقديم الكرازة والتعليم، وشفاء المرضى وغفران الخطايا وإقامة الموتى وإخبار الحاكم الرومانيِّ بكلماتٍ واضحة جدًّا "مملَكَتي لَيسَتْ من هذا العالَم" (يوحنَّا ١٨: ٣٦).

ولا يعني هذا أنَّ مملكته لن تكونَ من هذا العالم بتاتًا. فقبل ذلك بوقتٍ قليل قال يسوع لرئيس الكهنة "أنا هو. وسَوفَ تُبْصِرونَ ابنَ الإنسانِ جَالِسًا عن يَمِينِ القوَّةِ وآتيًا في سَحابِ السَّماء" (مرقس ١٤: ٦٢)، وفي سفر الرؤيا ٢١ نقرأ أنَّه مُتوَّج فوق سماواتٍ جديدة وأرضٍ جديدة، تحوَّلت جذريًّا بقوَّته وحرَّرها من عبوديَّتها للخطيَّة.

لا شكَّ أنَّ هذه جميعها هي خبرٌ سارّ، في حال تلقَّيتَه. ولكن بعد

ذلك نعودُ إلى مشكلة خطيَّتنا، أليس كذلك؟ فإنْ لم يحدث ما يزيل ذنب عصياننا وتمرُّدنا على الله، سنبقى منفصلين، عنه ولن يكونَ مصيرنا أفراح السماء الجديدة والأرض الجديدة، بل العقاب الأبديَّ في جَهَنَّم.

وهنا يتحقَّق الخبر السارُّ جدًّا في المسيحيَّة. ترى يسوع الملك آتيًا ليس فقط لتدشين ملكوت الله، بل أيضًا لإحضار الخطاة إليه، وذلك بموته نيابةً عنهم وعن خطيَّتهم، آخذًا عقابهم على نفسه وضامنًا الغفران لهم، جاعلاً إيَّاهم أبرارًا في نظر الله، وبعدها يؤهِّلهم ليكونوا مشاركين في ميراث الملكوت (كولوسِّي ١: ١٢).

ملكٌ يتألَّم؟

"هُوذا حَمَلُ اللَّه الذي يَرفَعُ خَطيَّةَ العالَم"، هذا ما قاله يوحنَّا المعمدان، النبيُّ الذي كان يرتدي ملابس من وبر الجمل ويأكل الجراد، عندما رأى يسوع آتيًا صوبَه (يوحنَّا ١: ٢٩). ما معنى كلامه؟ حَمَل الله؟ يرفع خطيَّة العالم؟ جميع يهود القرن الأوَّل فهموا في الحال ما قصده يوحنَّا بعبارة "حَمَل الله يرفع الخطيَّة"، فقد كانت إشارة إلى عيد الفصح اليهوديّ، وهو احتفال تذكاريٌّ لتحرير الله المعجزيِّ لبني إسرائيل من العبوديَّة في مصر منذ نحو ألف وخمس مئة سنة مضت (من وقت ظهور يوحنَّا).

أدان الله المصريِّين، فأرسل عشرَ ضربات عليهم، وفي كلِّ مرَّة كان قلب ملك مصر يتقسَّى ويرفض إطلاق الشعب. كانت الضربة الأخيرة هي الأقوى. لقد أخبر الله بني إسرائيل بأنَّ ملاك الموت سيجتاح أرض مصر في ليلةٍ معيَّنة، وسيقتل جميع أبكار البشر والحيوانات في البلاد. ذلك الحكم المرعب سيشمل بني إسرائيل أيضًا- إلَّا إذا أطاعوا تعليمات الله بدقَّة. قال

الله لهم: يجب على كلِّ عائلة أن تُحضر حَمَلًا خاليًا من أيِّ عيب أو ضرر وتذبحه. ثمَّ يجب أن يرشُّوا دم الحَمَل باستخدام نباتِ الزوفا على قائمتَي باب المنزل وعتبته العُليا. ووعدهم الله أنَّه عندما يمرُّ الملاك ويرى الدم، سيعبر عن ذاك المنزل وسيُعفيهم من حكم الموت.

وهكذا صار احتفالُ الفصح- ولا سيَّما حَمَل الفصح- رمزًا قويًّا لفكرة أنَّه يمكن أن يدفعَ شخص جزاءَ الموت بسبب خطيَّته، وذلك بموت شخصٍ آخر عنه. في الواقع، لقد أسَّست هذه الفكرة "مبادلة العقوبات" نظامَ تضحيات العهد القديم كلَّه. ففي يوم الكفَّارة السنويّ، كان رئيس الكهنة يدخل المنطقة المخصَّصة في الهيكل، والمعروفة بِاسْم قدس الأقداس، ويذبح حيوانًا كاملًا بلا عيب ليكونَ ثمنًا لخطايا الشعب. هذا ما كان يحدث عامًا بعد عام، وفي كلِّ عام كانت تؤجَّل عقوبة خطايا الشعب مرَّة أخرى بدم الحَمَل.

كان ذلك يُمارَس وقتًا طويلًا، لكن في النهاية أدركَ أتباع يسوع أنَّ إرساليَّته لم تكن مجرَّد تدشين ملكوت الله، بل القيام بذلك بالموت كذبيحة بديلة عن شعبه. لقد أدركوا أنَّ يسوع لم يكن مجرَّد ملكٍ، بل كان ملكًا يتألَّم.

وقد عَلِمَ يسوع نفسه منذ البداية أنَّ مهمَّته كانت أن يموتَ من أجل خطايا شعبه. وأعلنَ الملاك منذ ولادته أنَّه سوف "يُخلِّصُ شَعبَه من خَطاياهُم" (متَّى ١: ٢١)، ويخبرنا البشير لوقا "وحينَ تمَّتِ الأيَّامُ لارتِفاعِه ثبَّتَ وَجْهَه لِيَنطَلِقَ إلى أُورُشَليمَ" (لوقا ٩: ٥١). تنبَّأ يسوع بموته عدَّة مرَّات في الأناجيل، وعندما اعترضَ بطرس طريقَه بحماقة، وبَّخه يسوع قائلًا: "اذْهَبْ عنِّي يا شَيطانُ. أنتَ مَعثَرَةٌ لي..." (متَّى ١٦: ٢٣). كان وجه

يسوع مثبَّت مثل الصوَّان نحو أورشليم، ومن ثَمَّ نحو موته.

لقد أدرك يسوع أيضًا أهمِّيَّة موته والغرض منه. يقول في مرقس ١٠: ٤٥: "لأنَّ ابنَ الإنسانِ أيضًا لَم يَأتِ لِيُخدَمَ بَل ليَخْدِمَ ولِيَبذِلَ نَفسَه فِديَةً عَن كَثِيرين". وفي متَّى ٢٦: ٢٨ وهو يشارك تلاميذه العشاء الأخير، أخذ كأسًا من الخمر وقال: "هذا هو دَمي الذي للعَهدِ الجَديدِ الذي يُسفكُ من أجلِ كَثيرينَ لِمَغفِرة الخَطايا" (متَّى ٢٦: ٢٧-٢٨). وقال في موضعٍ آخر: "وأنا أَضَعُ نَفسي عن الخراف. ليس أحَدٌ يأخُذُها منِّي بل أَضَعُها أنا من ذات..." (يوحنَّا ١٠: ١٥، ١٨). لقد عرف يسوع سببَ ذهابه إلى الموت. بدافع حبِّه لشعبه وضعَ حياتَه طَوعًا، كحَمَل الله الذي يُذبح لكي ينالَ شعبُه الغفران.

لقد أدرك المسيحيُّون الأوائل، بإرشادٍ من الروح القدس، ما أنجزه يسوع على الصليب. إذ وصفه بولس قائلًا: "المسيحُ افتدانا من لَعنَةِ الناموس" (غلاطِيَّة ٣: ١٣-١٤). ووضَّح في مَوضعٍ آخر: "لأنَّه جَعَلَ الذي لَم يَعرفْ خَطيَّةً، خَطيَّةً لأجلِنا، لِنَصيرَ نحنُ برَّ الله فيه" (٢كورنثوس ٥: ٢١). وكتب الرسول بطرس "فإنَّ المسيحَ أيضًا تألَّمَ مرَّةً واحدَةً من أجل الخطايا، البارُّ من أجل الأَثَمة، لِكي يُقرِّبَنا إلى الله" (١بطرس ٣: ١٨)، "الذي حَمَلَ هُوَ نَفسُه خَطايانا في جَسَده على الخَشَبة، لكي نَموتَ عن الخَطايا فَنحيا لِلبرّ. الذي بجلْدَتِه شُفيتُم" (١بطرس ٢: ٢٤).

هل ترى ما قاله المسيحيُّون الأوائل عن أهمِّيَّة موت يسوع؟ كانوا يقولون إنَّ موت يسوع لم يكن عقابًا على خطاياه، وكان عليه احتماله (فلم تكن لديه أيَّة خطيَّة!). لقد كان عقابًا على خطايا شعبه! وهو مُعلَّقٌ على الصليب في الجلجثة، حملَ يسوع كلَّ الثقل الرهيب لخطيَّة شعب

الله. كلُّ عصيانهم وتمرُّدهم، وكلُّ خطاياهم وُضعت على كتفَيه. وهكذا طُعنَتِ اللعنةُ التي أعلنَها الله في جنَّة عدن والتي هي حُكم الموت. لذا صرخ يسوع بألمٍ مُبرِّح "إيلي إيلي لَما شَبَقتَني" [أي، إلهي إلهي لماذا تَرَكتَني؟] (متَّى ٢٧: ٤٦). الله أبوه، القدُّوس البار، الذي عيناه أنقى من أن تنظرا إلى الشَّرّ، نظر إلى ابنه ورأى خطايا شعبه الموضوعة على كتفَيه، ابتعدَ مشمئزًّا، وصبَّ غضبَه على ابنه. يكتب البشير متَّى أنَّ الظلمة غطَّتِ الأرضَ نحو ثلاث ساعات عندما كان يسوع معلَّقًا على الصليب. لقد كان ذلك ظلامَ الدينونة، ثِقل غضب الله الملقى على يسوع وهو يحمل خطايا شعبه ويموت مكانهم.

تنبَّأ إشعياء النبيُّ بهذا قبل سبعة قرون من حدوثه:

> "لَكنَّ أحزَانَنا حَمَلَها، وأَوجاعَنا تَحَمَّلَها. ونحنُ حَسبناه مصابًا مضروبًا من اللَّه ومَذلولًا. وهو مَجروحٌ لأجل مَعَاصينا، مَسحوقٌ لأجل آثامنا. تأديبُ سَلامنا عليه، وبحبُره شُفينا" (إشعياء ٥٣: ٤-٥).

هل ترى أهمِّيَّة هذا؟ في النهاية، يعني هذا أنَّه كان من المفروض أن أموتَ أنا، لا يسوع. أنا مَن كان يجب أن يُعاقَب وليس يسوع. ولكنَّه أخذ مكاني، وماتَ عنِّي.

لقد كانت ذنوبي أنا، لكنَّما جراحُه هو. كانت آثامي أنا، ووقع التأديب عليه هو. كانت خطيَّتي، لكنَّما حزنه هو. وبالعقاب الذي احتمله هو، اشترى سلامي. بجلداته ربحتُ شفائي، وبحزنه ربحتُ فرحي. وبموته صارت لي حياة!

مركَز بشارة الإنجيل

للأسف، ربَّما كانت عقيدة المبادَلة هذه هي أكثرَ جزء يكرهه العالم في البشارة المسيحيَّة. فالناس ببساطة ينزعجون من فكرة معاقبة يسوع على خطيَّة شخصٍ آخر. وقد أطلق بعضُ الكتَّاب على هذه الفكرة "الإساءة للطفل الإلهيّ". غير أنَّ استبعاد مفهوم الكفَّارة البديلة ورفضه هو في الحقيقة إلغاء لصميم بشارة الإنجيل ولبِّها. ومن المؤكَّد أنَّ هناك العديد من الصور المدوَّنة في الكتاب المقدَّس عمَّا أنجزه المسيح بموته، كالمصالحة والنصر مثلًا. غير أنَّ تحت جميعها هناك الحقيقة التي تشير إليها جميع الصور الأخرى: مبادلة العقوبة. ببساطة لا يمكنك التخلِّي عن تلك الحقيقة، أو التقليل منها لترجيح كفَّة الصور الأخرى، وإلَّا ستغطِّي بذلك مشهدًا من الكتاب المقدَّس بأسئلة دون إجابات. لماذا تُقدَّم الذبائح؟ ما الغرض من الدم المسفوك؟ كيف يمكن أن تتحقَّق رحمة الله تُجاه الخطاة دون تدمير العدالة؟ ما معنى الآية المدوَّنة في خروج ٣٤: ٧ "غَافِرُ الإثم والمعصِيَةِ والخطيَّة. ولكنَّه لَن يُبرِئَ إبراء..."؟ كيف يمكن أن يبرِّرَ الله العادلُ والبارُّ الفُجَّار (رومية ٤: ٥)؟

لقد أُجيبَ عن جميع هذه الأسئلة في صليب الجلجثة- في موت يسوع نيابةً عن شعبه. فيمكن أن يبرِّرَ لله العادلُ والبارُّ الفاجرَ؛ لأنَّ المصالحة التامَّة ما بين الرحمة والعدل تمَّت في موت يسوع. وجرى تنفيذ مطالب اللعنة باستقامة، ونحن نلنا الخلاصَ بالرَّحمة.

لقد قام

دون شكّ، كلُّ هذا حقيقيّ- وهو خبر سارّ- فقط لأنَّ يسوع الملك

المصلوب لم يَعُدْ ميتًا. لقد قام من القبر. وكلُّ الشكِّ الذي حطَّم التلاميذ عند موت يسوع، أُزيل في لحظة عندما قال الملاك للنساء: "لماذا تَطلُبْنَ الحَيَّ بينَ الأموات؟ ليسَ هو هَهُنا لكنَّه قام!" (لوقا ٢٤: ٥-٦).

في حال بقي المسيح ميتًا حاله حال غَيره من "المخلِّصين" أو "المعلِّمين" أو "الأنبياء"، فلن يكونَ لموته أيُّ معنى أكثر من موتك أو موتي. ولكانت أمواج الموت ستُغلق فوقه كما هي الحال في حياة أيِّ إنسانٍ آخر، وكلُّ ما ادَّعاه كان سيغرق في العدم، وكانت البشريَّة ستبقى دون رجاء في الخلاص من الخطيَّة. ولكنْ عندما عادت أنفاسُه إلى رئتَيه المنبعثتَين من الموت مرَّة أخرى؛ وعندما أثارت حياته المقامة جسدَ مجده بقوَّة، جرى تأكيد كلِّ ما قاله يسوع تأكيدًا كاملًا دون أيِّ شكٍّ، وبصورة نهائيَّة قاطعة.

يهلِّل الرسول بولس في رومية ٨ من أجل قيامة يسوع وما تعنيه للمؤمنين:

> "مَن سَيَشتَكي على مُختاري الله؟ اللَّه هو الذي يُبرِّرُ! مَن هو الذي يَدينُ؟ المسيحُ هو الذي ماتَ بل بالحَريِّ قامَ أَيضًا الذي هو أيضًا عَن يَمين الله الذي أيضًا يَشفعُ فينا!" (رومية ٨: ٣٣-٣٤).

يا لها من فكرة رائعة- يسوع الإنسان يجلس الآن في عزٍّ وبهاء عن يمين الله في السماء، مستحقًّا لقب ملك الكون! ليس ذلك فقط، بل هو أيضًا يشفع لأجل شعبه، بينما ننتظر نحن عودتَه النهائيَّة والمجيدة.

غير أنَّ كلَّ هذا يثير سؤالًا آخر، أليس كذلك؟ مَن هم "شعبه"؟

الفصل ٥

الاستجابة- الإيمان والتوبة

بدأتُ في محاولة تعليم ابني السباحة في وقتٍ باكرٍ جدًّا. لقد كان عملًا روتينيًّا، إذ كان في سنته الأولى من العمر أو أكبر بقليل، ولم يحبَّ ذلك الصغير أن يلامسَ الماءُ وجهَه في حوض الاستحمام، فكم بالحري هذا المحيط الهائل في حوض السباحة التي بدأ التعلُّم فيه الآن. في البداية، كان "تعليمه السباحة" يعني جعله يلتفُّ حول الماء على الحافَة الجانبيَّة، وربَّما يضعُ شفتَيه في الماء بما يكفي لنفخ بعض الفقاعات إذا شعر بالشَّجاعة فعلًا.

في النهاية، أقنعته بأن يتجوَّل معي في الجهة الضحلة، ودون شكّ، كانت يداه تلتفَّان حول عنقي بحيث تكادان تخنقاني. وما إن أتقنَ ذلك حتَّى حان وقت الاستعراض الكبير- القفز من جانب حوض السباحة. ولإتمام واجبي الأبويِّ الممنوح لي من الله، أرفعه من حوض السباحة وأوقفه على الحافة، وأقول له "هيَّا اقفز!".

أعتقد أنَّ ابني كان يحسبُني في تلك اللحظة رجلًا مجنونًا. ففي غضون ثانيتَين، تدرَّجتِ النظرةُ على وجهه من ارتباك إلى بداية إدراك، ثمَّ رفض ظريف وازدراء واضح. عَبَس في وجهي وقال: "لا، أنا ذاهب لرؤية ماما". مرَّة أخرى، تصرَّفتُ بإخلاص للمسؤوليَّة الأبويَّة الرسميَّة الموكَلة

إليَّ، ورفضتُ الاستسلامَ وطاردتُه إلى أن أقنعتُه في النهاية (بمختلف أنواع الرشاوى) أن يعودَ إلى حوض السباحة. وهكذا وصَلْنا إلى لحظة الحقيقة.

قفزت في المياه مرَّة أخرى ووقفت أمامه بذراعَين ممدودتَين، أراقبُه وهو يهتزُّ إلى الأعلى والأسفل مرتديًا الحِفاض المخصَّص للسباحة، مثلما يفعل أيُّ طفلٍ في عمر السنة عندما يريد أن يقفز، ولكن ليس بكلِّ إرادته. فقلتُ له: "هيَّا اقفز! أنا هنا، أعدك بأنِّي سأمسكك". فنظر إليَّ بقليل من الارتياب، وقليل من الارتداد في ركبتَيه، ثمَّ ارتمى في حوض السباحة بتخبُّط أكثر من كونها قفزة.

وأنا أمسكتُه. وهكذا بدأنا ولم يعُدْ في وُسعنا التوقُّف! "بابا، مرَّة أخرى يا بابا، لنقُم بذلك مرَّة أخرى". وهكذا بدأنا على مدار نصف ساعة، هو يقفز وأنا ألتقطه ومن ثمَّ أرفعه وأعيده إلى مكانه، وتتكرَّر العمليَّة يقفز ثمَّ أمسكه، وأرفعه وأعيده إلى مكانه.

وعندما انتهى الأمر، بدأتُ وزَوجتي نشعر بالقلق، فربَّما اطمأنَّ ابنُنا إلى الماء أكثر من اللازم. ماذا لو تجوَّلَ وحده وذهب إلى حوض السباحة وحده بينما لا نكون معه؟ هل سيتذكَّر كلَّ المرَّات التي قفز فيها بأمان إلى الماء فيقرِّر القيام بذلك؟ هل سيقفز مرَّة أخرى؟

وعلى مدار الأيَّام القليلة التالية، راقبناه حول حوض السباحة، وما رأيناه كان مريحًا لي ولمسني بعمقٍ بوصفي أبًا. لم يفكِّر ابني في القفز إلى الماء ولا مرَّة واحدة- على الأقلِّ ما لم أكن واقفًا تحته وذراعاي ممدودتان نحوه، واعدًا إيَّاه أنِّي سأمسكه. عندئذٍ فقط تجده يطير!

هل ترى ما يحدث؟ مع كلِّ نحاجاته الظاهرة، لم تكن ثقة ابني نابعة

من قدرته على التعامل مع الماء، بل كانت في والده، وفي وعد والده "هيَّا يا بنيّ، اقفز، وأعِدُك أنِّي سأمسكك".

تقديم الإيمان والتوبة

يخبرنا البشير مرقس بأنَّ يسوع بدأ خدمته بالوعظ "قَد كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقتَرَبَ مَلَكُوتُ الله فَتوبوا وَآمنُوا بالإنجيل" (مرقس ١: ١٥). ذلك الأمر- توبوا وآمنوا- هو ما يطلبه الله منَّا استجابةً للخبر السارِّ الذي يقدِّمه يسوع.

وهذا ما نرى الرسل وهم يدعون الشعب إليه في كلِّ العهد الجديد. لقد دعا يسوع سامعيه لأن يتوبوا ويؤمنوا بالخبر السارّ. وقال بطرس للشعب في نهاية عظته في يوم الخمسين في أعمال الرسل ٢: ٣٨: "توبوا وَليَعتَمد كلُّ وَاحدٍ منكُم على اسم يَسوعَ المسيح لغُفران الخَطايا فتقبَلوا عطيَّةَ الرُّوح القُدُس" (المعموديَّة بِاسْم يسوع هي تعبير عن الإيمان به). شرح بولس خدمته في أعمال الرسل ٢٠: ٢١ قائلًا: "شَاهدًا لليَهُود وَاليُونَانيِّينَ بالتَّوبَة إلى الله وَالإيمَان الذي برَبِّنا يَسوعَ المسيح"، وفي أعمال الرسل ٢٦: ١٨ يروي كيف أرسلَه يسوع بنفسه قائلًا:

> "لتَفتَحَ عُيونَهُم كَي يَرجعوا من ظُلُماتٍ إلى نُورٍ ومن سُلطَان الشَّيطان إلى الله حَتَّى يَنَالُوا بالإيمَان بي غُفرانَ الخَطَايَا وَنَصيبًا مَعَ المقدَّسين".

الإيمان والتوبة. هذا هو ما يميِّز شعب المسيح. بكلماتٍ أخرى، المسيحيُّ هو الشخصُ الذي يبتعد عن خطيَّته ويثقُ بالرب يسوع المسيح- وليس سواه- ليخلِّصَه من خطيَّته ومن الدينونة الآتية.

الإيمانُ هو الثقة والاتِّكال

كلمة الإيمان هي إحدى الكلمات التي أُسيء استخدامها مدَّةً طويلة، حتَّى إنَّ معظم الناس لا يعرفون معناها الحقيقيّ. اطلب من شخص في الشارع أن يصفَ لك الإيمان، ومع أنَّك قد تحصل على بعض الكلمات التي تبدو محترمة، فالأرجح أنَّ صُلبَ الموضوع سيُظهِرُ أنَّ الإيمانَ هو تصديق الأمور السخيفة مقابل كلِّ الدلائل.

في إحدى السنوات، كنتُ أشاهد مع ابني الأكبر البرنامج التلفزيوني "استعراض مايسي في عيد الشكر" (Macy's Thanksgiving Day Parade). كان موضوع الحدث هو "آمن!" وأسمَيتُ النقطةَ المحوريَّة المثبَّتة فوق منصَّة العرض بمقياس الإيمان (Believe-o-meter). في كلِّ مرَّة كانت تقترب فيها العربة، أو تعزف الفرقة الموسيقيَّة، أو يرقص الراقصون مرتدين زيَّ الأقزام، كانت إبرة مقياس الإيمان ترتدُّ قليلًا. بالتأكيد، ذروة العرض كانت عندما ركب سانتا كلوز مزلجته، المصمَّمة بصورةٍ غريبة على شكل إوزَّة ضخمة، عندها ارتدَّت إبرة مقياس الإيمان إلى أقصى درجة! وحتمًا مع الموسيقا والرقص والحلويات وصراخ الأطفال- وصراخ الكبار أيضًا- سيستنتج أيُّ زائرٍ غريب أنَّ هؤلاء الناس، شعب فيرجينيا، يؤمنون بذلك حقًّا.

كان رأيُ ابني البالغ من العمر ستَّ سنوات أنَّ الأمر كلَّه صخبٌ سخيف.

غير أنَّ هذا ما يفكِّر فيه العالم عن الإيمان حاليًّا. فهو لعبةٌ هزليَّة، ممتعة ومريحة، يشترك فيها الناس بحرِّيَّة وبناءً على رغبتهم، دون وجود علاقة حقيقيَّة بالعالم الفعليّ. فالأطفال يؤمنون بوجود سانتا كلوز وأرنب

عيد الفصح. والمتصوِّفون يؤمنون بقوَّة الحجارة والبِلَّورات. والمجانين يؤمنون بالجنِّيَّات. والمسيحيُّون يؤمنون بيسوع.

عندما تقرأ الكتاب المقدَّس، ستجد أنَّ الإيمان لا يشبه ذلك التشويهَ المبالَغ فيه بتاتًا. فالإيمان ليس كما يعرِّفه الكثير من الناس بأنَّه تصديق ما لا يمكن إثباته. ولكنَّه بحسب تعريف الكتاب المقدَّس هو الثقة والاتِّكال. الإيمان هو الثقة الثابتة كالصَّخر، المتأصِّلة في الحقِّ والمؤسَّسة على الوعد، في يسوع المـُقام ليخلِّصَك من الخطيَّة.

يخبرنا بولس الرسول بشأن طبيعة الإيمان في رومية ٤، في كلامه عن إبراهيم. إليك كيف وصف إيمانَ إبراهيم:

> "فَهُوَ عَلَى خلاف الرَّجَاء آمَنَ عَلَى الرَّجَاء لكَي يَصيرَ أَبًا لأُمَمٍ كَثيرَةٍ كَمَا قيلَ: هَكَذَا يَكُونُ نَسلُكَ. وَإذ لَم يَكُن ضَعيفًا في الإيمان لَم يَعتَبر جَسَده- وَهُوَ قَد صَارَ مُمَاتًا إذ كَانَ ابنَ نَحو مئَة سنة- ولا مُمَاتيَّةَ مُستَودَع سارةَ. ولا بعَدَم إيمَانٍ ارتَابَ في وَعد الله بل تَقَوَّى بالإيمَان مُعطيًا مَجدًا لله. وَتَيَقَّنَ أَنَّ ما وَعَدَ به هو قادرٌ أَن يَفعَلَه أَيضًا"
> (رومية ٤: ١٨-٢١).

رغم أنَّ كلَّ الأشياء كانت تسير عكس وعد الله- سنِّ إبراهيم، وسنِّ زوجته، والعقم- فقد آمن إبراهيم بما قاله الله. وَثَق بالله دون تردُّد واتَّكلَ عليه لإتمام وعوده. لم يكن إيمان إبراهيم كاملًا؛ فولادة إسماعيل من هاجر تثبت أنَّه حاول في البداية أن يتَّكل على مخطَّطاته ليحقِّقَ وعودَ الله. ولكنَّه في النهاية تاب عن خطيَّته، ووضع إيمانَه في الله. اتَّكلَ عليه

كما يقول الرسول بولس "وتَيقَّنَ أَنَّ ما وَعَدَ به هو قادرٌ أَن يَفعَلَه أيضًا".

يدعونا إنجيل يسوع المسيح أن نفعلَ مثله- نضع إيماننا في يسوع، ونتَّكل عليه، ونثق بأنَّه سيفعل ما وعد به.

الإيمان من أجل حُكم التَّبرير

ولكنْ لماذا بالتَّحديد نعتمد على يسوع؟ بكلِّ بساطة، نعتمد عليه كي يوفِّر لنا حُكم التبرير من الله القاضي بدلًا من حُكم الإدانة.

فلأوضح الأمر. يعلِّم الكتاب المقدَّس أنَّ أعظم احتياج لدى الإنسان هو أن يكون مبرَّرًا في نظر الله بدلَ أن يُدان بوصفه شرِّيرًا. عندما يصدر الحُكم، نحتاج لأن نسمع الحُكم المُعلن بأنَّنا "أبرار" ولسنا "مُدانين". فأن نكون مبرَّرين وَفقًا للكتاب المقدَّس، يعني إعلان الله بأنَّنا أبرارٌ أمامه ولسنا مذنبين.

وكيف يمكننا أن ننالَ حُكمَ التبرير هذا؟ يخبرنا الكتاب المقدَّس بوضوح أنَّنا لن ننالَه بطلبنا من الله أن ينظرَ إلى حياتنا. كلَّا، فهذه خطوةٌ غير مُجدِية. فإذا أرادَ الله أن يحسبَنا أبرارًا، فلا بدَّ أن يفعلَ ذلك بناءً على أمرٍ آخر غير سِجلِّنا الحافل بالإثم. يجب أن يستندَ إلى سجلِّ شخصٍ آخر- شخصٍ يقف بدلًا منَّا. هنا يأتي الإيمان بيسوع. عندما نضع إيماننا بيسوع، نعتمد عليه كي يقف بدلًا منَّا أمام الله، في حياته الكاملة وفي موته لأجلنا على الصليب جزاءً لخطيَّتنا. بكلماتٍ أخرى، نحن نثق بأنَّ الله سيستبدل بسجلِّنا سجلَّ يسوع، وهكذا سيُعلن أنَّنا أبرار (رومية ٣: ٢٢).

قد نفكِّر في الأمر بالطريقة التالية: عندما نضع ثقتَنا في يسوع

ليُخلِّصنا، نصيرُ متَّحدين به، وسيحدث هنا تبادلٌ رائع. ستُنسَب جميع خطايانا وعصياننا وشرورنا إلى يسوع، وهو يموت بسبب ذلك (١بطرس ٣: ١٨). وفي الوقت نفسه، ستُنسب حياة يسوع الكاملة المثاليَّة إلينا، وسيُعلَنُ أنَّنا أبرار. ينظر الله إلينا فيرى برَّ يسوع عوضًا عن خطايانا.

هذا هو ما يعنيه بولس عندما يكتب في رسالة رومية ٤ أنَّ الله "يحسبنا أبرارًا" بغضِّ النظر عن أعمالنا، وأنَّ خطايانا "مغطَّاة" (الأعداد ٥، ٧). والأهمُّ من ذلك، ما يقصده الرسول بولس عندما يقول إنَّ الله "يبرِّر الفاجر" (العدد ٥)، وهذا مدهش! فالله لا يُعلن أنَّنا أبرارٌ بسبب أيِّ صلاح في أنفسنا. إنَّنا نشكر الله لأنَّ هذا الأمر حقيقيّ، إذ لا يوجد بيننا مَن يستوفي تلك المعايير! بل إنَّ الله يُعلن أنَّنا أبرارٌ لأنَّه ألبَسَنا حياةَ المسيح البارَّة بالإيمان. يخلِّصُنا الله بالنعمة الخالصة، ليس لأيِّ شيء فعلناه، بل بسبب ما فعله يسوع من أجلنا.

يقدِّم النبيُّ زكريَّا هذه النقطة مع صورة جميلة لرئيس الكهنة يهوشع الذي أُعطي ثيابًا جديدة. إليك هنا ما يكتبه زكريَّا النبيّ:

> "وَأَرَانِي يَهُوشَعَ الكاهنَ العَظيمَ قَائمًا قُدَّامَ مَلاك الرَّبِّ وَالشَّيطَانُ قَائمٌ عَن يَمينه ليُقَاومَه. فَقَالَ الرَّبُّ للشَّيطَان: «ليَنتَهرك الرَّبُّ يَا شَيطَانُ. ليَنتَهرك الرَّبُّ الذي اختَارَ أُورُشَليمَ. أَفَلَيسَ هَذَا شُعلَةً مُنتَشَلَةً منَ النَّار؟» وَكَانَ يَهُوشَعُ لابسًا ثيَابًا قَذرَةً وَوَاقفًا قدَّامَ الملاك. فَقالَ للوَاقفينَ قُدَّامَه: «انزعُوا عَنه الثِّيابَ القَذرَةَ». وَقَالَ لَهُ: «انظُر. قَد أَذهَبتُ عَنكَ إثمَكَ وَأُلبسُكَ ثيَابًا مُزَخرَفة».

فَقُلتُ: «لِيَضَعوا على رَأسه عِمَامَةً طَاهِرَةً» فَوَضَعوا عَلَى رَأسه العمامةَ الطَّاهرةَ وَأَلبَسُوه ثِيَابًا ومَلاكُ الرَّبِّ وَاقِفٌ'' (زكريًّا ٣: ١-٥).

لم تكن تلك الملابس المترَفة والنظيفة والجديدة مُلكًا ليهوشع، ولم تكن كذلك العمامة الطاهرة له. فهو لم يملك سوى تلك الثياب القذرة التي وقف بها، تلك التي كان الشيطان بصدد أن يشيرَ إليها بتهكُّم وسخرية. لا، فالبرُّ الذي تمتَّع به يهوشع أمام الله لم يكن منه، بل منحه إيَّاه شخصٌ آخر.

هذا الأمر ينطبقُ علينا أيضًا نحن المؤمنين. فنحن أبرارٌ أمام الله بسبب برِّ يسوع المُعطى لنا، ليس لأيِّ برٍّ فينا. إذ ينظر الله إلى ابنه ويرى خطايانا، وينظر الله إلينا فيرى برَّ يسوع. كما تقول الترنيمة:

''الله العادل يشعر بالرِّضى، عندما ينظر إليه [إلى يسوع] ويعفو عنِّي''.[٢]

الإيمان فقط

عندما تُدرك مدى اعتمادك على يسوع من أجل خلاصك- موته عوضًا عن خطيَّتك، وحياته من أجل تبريرك- ستفهم سببَ إصرار الكتاب المقدَّس أنَّ الخلاص بالإيمان بيسوع فقط. فليس ثمَّة طريقٌ آخر، ولا مخلِّص آخر. لا يمكن الاعتماد على أيِّ شيء أو أيِّ شخص آخر في العالم من أجل خلاصنا، بما في ذلك مجهودنا الشخصيّ.

2) "Before the Throne of God Above," Charitie L. Bancroft, 1863.

جميع الأديان الأخرى في التاريخ البشريِّ ترفض فكرةَ اعتماد تبريرنا الكامل على الإيمان وحده. حيث تؤكِّد أنَّ الخلاصَ يُكتسَب بالمساعي الأخلاقيَّة والأعمال الحسنة وموازنة حساب حسنات الشخص لتفوق ميزان سيِّئاته. وهذا ليس أمرًا مفاجئًا، فالإنسان يعتقد دائمًا بإصرار إمكانيَّة مساهمتنا في كَسْبِ خلاصنا.

إنَّنا أناسٌ نعتمد على أنفسنا، ألسنا كذلك؟ فنحن مقتنعون باكتفائنا الذاتيّ، ونستاء من أيِّ تلميحٍ يوحي بأنَّ ما نحن عليه ناتجٌ من تدخُّل شخصٍ آخر. فكِّر في شعورك إذا قال أحَدُهم عن عملك أو عن شيء ما أنت تقدِّره "لا بدَّ أنَّك لم تكسب ذلك، هناك مَن أعطاك إيَّاه". هذا ما يحدث تمامًا عندما يتعلَّق الأمر بخلاصنا أمام الله. لقد وُهبَ لنا عطيَّة نعمة، وليس لنا فيه أيَّة مساهمة- لا ببرِّنا، ولا بدَفْع ثمن خطايانا، ولا بأعمالنا الصالحة حتمًا" (غلاطِيَّة ٢: ١٦).

أن تضع إيمانك في المسيح يعني التخلِّيَ التامَّ عن أيِّ أملٍ آخر في حسبانك بارًّا أمام الله. هل تثق بأعمالك الصالحة؟ يعني الإيمانُ الاعترافَ بأنَّ أعمالَك الحسنة غير كافية بتاتًا، ووضع الثقة في المسيح وحده. هل تجد نفسك واثقًا بمفهومك عن معنى القلب الصالح؟ يعني الإيمان اعترافك بأنَّ قلبك غير صالح بتاتًا، وأنَّ الثقة هي في المسيح وحده. بعبارةٍ أخرى، الإيمان هو القفز من على حافَة حوض السباحة وأنت تقول: "يا يسوع، سينتهي أمري إنْ لم تمسكني، ليس لديَّ رجاء آخر، ولا مخلِّص غيرك. خلِّصني يا يسوع، وإلَّا سأموت".

ذلك هو الإيمان.

التوبة- الوجه الآخر للعُملة

كانت رسالة يسوع لسامعيه في (مرقس ١: ١٥) كالآتي: "قَد كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقتَرَبَ مَلَكُوتُ اللَّه فَتُوبُوا وَآمنُوا بالإنجيل". إذا كان الإيمان هو التوجُّه إلى يسوع والاعتماد عليه من أجل الخلاص، فإنَّ التوبة هي الوجه الآخر للعُملة. إنَّها الابتعاد عن الخطيَّة ورفضها، والاعتماد على قوَّة يسوع لتركها، حتَّى ونحن نتَّجه نحوه بالإيمان. لذا قال بطرس للجموع: "توبوا وارجِعوا لتُمحَى خَطايَاكُم لكَي تَأتيَ أَوقَاتُ الفَرَج من وَجه الرَّبّ" (أعمال الرسل ٣: ١٩). ويقول بولس للجميع أن: "يتوبوا وَيَرجعُوا إلى الله عَاملينَ أَعمالًا تَليقُ بالتَّوبة" (أعمال الرسل ٢٦: ٢٠).

ليست التوبة مجرَّد مكوِّنٍ اختياريٍّ في الحياة المسيحيَّة، بل هي جزءٌ مهمٌّ جدًّا فيها. التوبة هي العلامة التي تميِّز مَن خلَّصهم الله عن أولئك الذين لم يخلُصوا.

لقد عرفت الكثير من الناس الذين يقولون: "أجل، لقد قبلتُ يسوعَ مخلِّصًا، فأنا إذًا مسيحيّ. ولكنِّي لست مستعدًّا بعد لقبوله بوصفه ربًّا. هناك بعض الأمور التي يجب أن أعمل عليها". بكلماتٍ أخرى، هم يزعمون أنَّ في وُسعهم أن يؤمنوا بيسوع فيخلُصوا، دون أن يتوبوا عن خطيَّتهم.

إذا فهمنا التوبة بمفهومها الحقيقيّ، سنرى أنَّ فكرة قبول يسوع بوصفه مخلِّصًا فقط دون أن يكونَ ربًّا هي فكرة فارغة. فمن جهة، هي ليست فكرةً عادلةً وفقًا لما يقوله الكتاب المقدَّس عن التوبة وعلاقتها بالخلاص. مثلًا، يقدِّم الربُّ يسوع تحذيرًا قائلًا: "إن لَم تَتُوبُوا، فَجَميعُكُم

كَذَلِكَ تَهلكونَ" (لوقا ١٣: ٣). عندما سمع الرسل قصَّة بطرس بخصوص حديثه مع كُرنيليوس، سبَّحوا الله قائلين "إِذًا أَعطَى الله الأُمَمَ أَيضًا التَّوبَةَ للحَياة!" (أعمال الرسل ١١: ١٨)، ويتحدَّث بولس في (٢كورنثوس ٧: ١٠) بشأن "...تَوبَة لخَلاصٍ...".

فضلًا عن ذلك، يعني أن تؤمن بيسوع في جوهره تصديقَ حقيقة ما يقوله يسوع عن نفسه- هو الملك المصلوب الذي قام من الأموات وصعد إلى السماء، الذي انتصر على الموت والخطيَّة، ومَن معه القوَّة ليخلِّص. فكيف يمكن الآن أن يصدِّقَ إنسانٌ كلَّ ذلك، ويثق به ويعتمد عليه، ولكن في الوقت نفسه يقول "لكنِّي لا أعترف بأنَّك ملكي"؟ كلام فارغ تمامًا. فالإيمان بالمسيح يحمل في حدِّ ذاته نبذَ الخطيَّة- تلك القوَّة المنافسة التي انتصر عليها يسوع الملك. وعندما لا يكون هناك نبذٌ لتلك الخطيَّة، فلن يكونَ هناك إيمان بذلك الذي تغلَّب عليها.

وكما قال يسوع في متَّى ٦: ٢٤: "لا يَقدرُ أَحَدٌ أَن يَخدمَ سَيِّدَين لأَنَّه إِمَّا أَن يُبغضَ الوَاحدَ وَيُحبَّ الآخَرَ أَو يُلازمَ الوَاحدَ وَيَحتَقرَ الآخَرَ. لا تَقدرُونَ أَن تَخدموا الله والمالَ". فالإيمان بيسوع الملك يعني رفضَ أعدائه.

ليست التوبة الكمال بل هي اتِّخاذ موقفِ الانحياز

بعد كلِّ كلامنا السابق، لا نقصد أنَّ المؤمن بالمسيح لن يخطئ بتاتًا. فالتوبة عن الخطيَّة لا تعني بالضرورة أنَّك لن تخطئ بعد الآن- بالتأكيد هذا لن يتمَّ، ولا حتَّى في جوانب معيَّنة أيضًا. فلا يزال المؤمنون خطاةً حتَّى بعد أن يمنحَنا الله حياةً روحيَّة جديدة، وسنستمرُّ في صراعنا مع الخطيَّة إلى أن نُمجَّد مع يسوع (انظر، غلاطِيَّة ٥: ١٧؛ ١يوحنَّا ٢: ١). ولكنْ

حتَّى لو كانت التوبة لا تعني النهايةَ الفوريَّةَ لارتكابنا الإثم، فهي تعني أنَّنا لن نحيا بعدُ في سلامٍ مع خطيَّتنا. سنشنُّ حربًا مميتةً عليها، وسنكرِّس أنفسنا لمقاوَمَتِها بقوَّة الله في جميع جبهات حياتنا.

يصارع كثيرٌ من المؤمنين مع فكرة التوبة هذه، لأنَّهم يتوقَّعون بطريقةٍ ما أنَّهم إذا تابوا بصِدق، ستختفي الخطيَّة وستتوقَّف التجربة. وعندما لا يحدث ذلك، يشعرون باليأس ويشكِّكون في صحَّة إيمانهم بيسوع. صحيحٌ أنَّه عندما يمنحنا الله حياةً جديدة، فإنَّه يمنحنا القوَّة لمحاربة الخطيَّة والتغلُّب عليها (١كورنثوس ١٠: ١٣). ولكن لأنَّنا سنستمرُّ في صراعنا مع الخطيَّة إلى أن نُمجَّد مع المسيح، فعلينا أن نتذكَّر أنَّ التوبة الحقيقيَّة هي موقف القلب تجاه الخطيَّة أكثر من كونها تغييرًا في السلوك. هل نكره الخطيَّة ونحاربها، أم أنَّنا نعتزُّ بها وندافع عنها؟

طرح أحد الكتَّاب هذه الحقيقة بطريقةٍ جميلةٍ قائلًا:

> "الفرق ما بين الإنسان غير المؤمن والإنسان المؤمن بالمسيح، ليس أنَّ أحدَهما خاطئ والآخر بلا خطيَّة؛ بل أنَّ الأوَّل يقفُ إلى جانب خطاياه التي يحبُّها في مواجَهة الله المهوب، والآخر يقف إلى جانب الله الذي صالَحَه في مواجَهةِ خطاياه التي يكرهُها".[3]

فإلى جانب مَن تقف: خطيَّتك أم الله؟

3) William Arnot, Laws from Heaven for Life on Earth (London: T. Nelson and Sons,1884), 311.

تغييرٌ حقيقيّ، ثمرٌ حقيقيّ

يخبرنا الكتاب المقدَّس أنَّه عندما يتوبُ الشخص بصدق ويؤمن بالمسيح، يُمنح حياةً روحيَّةً جديدة. يقول الرسول بولس: "وأَنتم إذ كنتُم أَمواتًا بالذُّنوب والخَطايا. الله الذي هو غنيٌّ في الرَّحمَة، من أَجل محبَّته الكَثيرة التي أَحَبَّنا بها، ونحن أمواتٌ بالخَطايا أحيانا مع المسيح- بالنِّعمة أنتم مُخلَّصون" (أفسس ٢: ١، ٤-٥). عندما يحدث ذلك، تتغيَّر حياتنا، ليس على الفور، وليس بسرعة، ولا حتَّى بصورةٍ متواصلة دائمًا- بل هي تتغيَّر ونبدأ في الإثمار.

يقول الكتاب المقدَّس إنَّ المؤمنين يتميَّزون بنوع المحبَّة والرحمة والصلاح التي يتميَّز بها يسوع نفسه. فيقول بولس إنَّ المؤمنين الحقيقيِّين يعمَلون "أَعمالًا تَليقُ بالتَّوبة" (أعمال الرسل ٢٦: ٢٠). وقال يسوع: "لأَنَّ كلَّ شَجَرةٍ تُعرَفُ من ثَمَرهَا. فإنَّهُم لا يَجتَنونَ منَ الشَّوك تينًا وَلا يَقطفونَ من العُلَّيق عنَبًا" (لوقا ٦: ٤٤). بكلماتٍ أخرى، عندما يُمنح الناس حياةً روحيَّة جديدة، فإنَّهم يمارسون أمورًا قال عنها يسوع، فيحيون حياةً تشبه الحياةَ التي عاشَها يسوع ويأتون بثمرٍ جيِّد.

الأمر الوحيد الذي يجب الاحتراس منه دائمًا هو الاعتقاد أنَّ هذا الثمر هو السبب في خلاصنا. فهناك خطورة دائمة عندما نبدأ نرى الثمرَ في حياتنا، وتكمن هذه الخطورة في أن نبدأ نعتمدُ عليها من أجل خلاصنا، بدلَ الاعتماد على المسيح. احترس من هذه التجربة أيُّها المؤمن، ولتدركْ أنَّ الثمر الذي تأتي به هو مجرَّد ثمر من تلك الشجرة الجيِّدة التي صنعَتْها نعمة الله في المسيح. فاعتمادك على ثمارك المسيحيَّة لتضمنَ استحسانَ الله هو في النهاية تحويل إيمانك من يسوع إلى الإيمان بنفسك. وهذا ليس هو الخلاصَ البتَّة.

إلى أين ستتَّجه؟

أتساءل عمَّا ستفعله أو تقوله عندما تقفُ أمام الله في يوم الدينونة لتُقنعَه بأن يحسبَك بارًّا ويمنحَك جميعَ بركات ملكوته؟ ما العمل الصالح أو الموقف التقيُّ الذي ستسحبُه من جيبك لتؤثِّر فيه وتنال إعجابه؟ هل ستريه عددَ مرَّات حضورك في كنيستك؟ حياتك العائليَّة؟ حياتك الفكريَّة المميَّزة؟ حقيقة أنَّك لم ترتكبْ أيَّ عملٍ شنيع بتقديرك الشخصيّ؟ أتساءل ما الذي سترفعه أمامه وأنت تقول له: "يا الله، أعلن تبريري على حساب هذا".

سأخبرك ما الذي سيفعله جميع المؤمنين الذين وضعوا إيمانهم بالمسيح فقط، بنعمة الله. سيُشيرون إلى يسوع ببساطةٍ وهدوء. وسيكون التماسُهم هو التالي: "يا الله، لا تنظرْ إلى أيٍّ برٍّ في حياتي. انظر إلى ابنك. احسبني بارًّا ليس لأيِّ شيء فيَّ أو لأيِّ أمرٍ فعلتُه، بل بسببه هو. لقد عاش الحياة التي كان ينبغي أن أعيشَها، ومات الميتة التي أستحقُّها. لقد تخلَّيتُ عن كلِّ ما وثقت به، والتماسي له وحده. يا الله، برِّرني على حساب يسوع".

الفصل ٦

الملكوت

عند مدخل موقف السيارات المخصَّص لكنيستي، هناك لوحةٌ برونزيَّة حُفرَت عليها كلماتٌ خالدة للمرسَل جيم إليوت: "ليس أحمقَ مَن يعطي الأشياءَ التي لا يمكنه الاحتفاظ بها، لكي يكسب الأشياء التي لا يمكنه أن يخسرها". إنِّي أحبُّ هذا الاقتباس لأنَّه يجسِّد تكلفةَ أن تكون مؤمنًا بالمسيح، كما يعرضُ مكافأة ذلك.

لا شكَّ في أنَّ اختيارك للإيمان بالمسيح هو أمرٌ مُكلِف (لوقا ١٤: ٢٨). ولكنَّ من الصَّواب أيضًا أنَّ المكافآت التي تحظى بها كونك مؤمنًا بالمسيح رائعة بصورةٍ تفوق الوصف: غفران الخطايا، وتبنِّي الله لنا إذ صرنا أولاده، والعلاقة بيسوع، وعطيَّة الروح القدس، والحرِّيَّة من طغيان الخطيَّة، والشركة مع الكنيسة، والقيامة في اليوم الأخير والجسد الممجَّد، والانضمام إلى ملكوت الله، والسموات الجديدة والأرض الجديدة، وتمضية الأبديَّة في محضر الله، ورؤية وجهه- هذه جميعها وعود الله لنا في المسيح. ولا عجب أن يقتبسَ الرسول بولس من إشعياء النبيّ، قائلًا:

> "مَا لَم تَرَ عَينٌ ولم تَسمَع أُذُنٌ ولم يَخطُرْ على بَال إنسانٍ:
> ما أَعده الله للَّذينَ يُحبُّونَه" (١كورنثوس ٢: ٩).

إنَّ الحياةَ المسيحيَّة ليست مجرَّد الحرص على تجنُّب غضبِ الله، بل هي أبعد من ذلك بكثير! فهي أن تكون في علاقةٍ صحيحة بالله، وفي النهاية تتمتَّع بالعلاقة بشخصه إلى الأبد. ويعني هذا أنَّنا بصدد اكتسابِ ما لا يمكن خسارته- نصير مواطنين في ملكوته الأبديّ.

منذ اللحظة التي يؤمن فيها الشخص بيسوع المسيح، يتغيَّر كلُّ شيء في حياته إلى الأبد. إنِّي أعلمُ أنَّ الأمر لا يبدو كذلك أحيانًا. فليست هناك قصاصات ملوَّنة لاحتفالات سماويَّة، ولا أبواق، ولا ملائكة يرنِّمون (على الأقلِّ لا يمكننا سماعهم)، ولكنَّ الحقيقة هي أنَّ كلَّ شيء يتغيَّر. يقول بولس الرسول إنَّ الله "انقَذَنَا من سُلطَان الظُّلمَة وَنَقَلَنا الَى مَلَكوت ابن مَحبَّته" (كولوسِّي ١: ١٣).

ما تعريف ملكوت الله؟

ملكوت الله موضوعٌ مهمٌّ في العهد الجديد. فيسوع نفسه وَعَظ عنه باستمرار قائلًا: "توبوا، لأنَّ ملكوت السموات قريب". وفي هذا السِّياق، يلخِّص لنا الشاهد في أعمال الرسل ٢٨: ٣١ خدمةَ بولس بالقَول: "كارزًا بِمَلَكوت الله وَمُعلِّمًا بأَمر الرَّبِّ يَسوعَ المسيحِ بكُلِّ مُجاهَرَةٍ بلا مانع". ويتهلَّلُ كاتبُ العبرانيِّين بحقيقة أنَّ المؤمنين في المسيح "قَابلونَ مَلَكوتًا لا يَتَزَعزَع" (عبرانيِّين ١٢: ٢٨). ويشجِّع بطرس قرَّاءه على فكرة الترحيب بهم بغنى في ملكوت الله "لأَنَّه هَكَذَا يُقَدَّمُ لَكُم بسعَةٍ دُخولٌ إلى مَلَكُوت رَبِّنا وَمُخلِّصنَا يَسوعَ المسيح الأَبَديّ" (٢بطرس ١: ١١). وفي سفر الرؤيا، تنطلقُ كلُّ الجموع في السماء بالتَّسبيح "الآنَ صَارَ خَلاصُ إلَهنَا وَقُدرَتُه وَمُلكُه وَسُلطَانُ مَسيحه، لأَنَّهُ قَد طُرِحَ المُشتَكي عَلَى

إخوَتنَا الذي كَانَ يَشتَكي عَلَيهم أَمَامَ إلَهنَا نَهارًا وَلَيلًا" (رؤيا ١٢: ١٠).

ولكن ما هذا الملكوت بالتَّحديد؟ هل هو حيِّزٌ ما أو منطقة يتمتَّع الله فيه بسُلطة خاصَّة عليه؟ هل هو الكنيسة؟

هل الملكوت هنا والآن، أم أنَّه شيءٌ لا نزال ننتظره- شيءٌ ما سيأتي في المستقبل؟ وفي هذه المسألة، مَن هم بالتحديد الذين سيكونون في ملكوت الله؟ ألا يملك الله على الجميع، سواء كان الشخص مؤمنًا أم غير مؤمن بيسوع؟ ألسنا جميعًا في ملكوته، ألا يمكننا العمل على تأسيس الملكوت، سواء كنَّا مؤمنين بالمسيح أم لا؟

فلنحاول إدراكَ بعض هذه الأسئلة بملاحظة بعض الأمور التي يعلِّمنا إيَّاها الكتاب المقدَّس عن ملكوت الله.

مُلك الله الخلاصيّ

أوَّلًا، ملكوتُ الله هو مُلك الله الخلاصيُّ على شعبه. وكلمة ملكوت من أقوى الكلمات التي تتضمَّن دلالاتٍ قويَّةً، وفي هذه الحال تميل تلك الدلالات إلى التشويش. عندما نفكِّر عادةً في الملكوت، نفكِّر في أرضٍ معيَّنة لها حدود موضوعة جيِّدًا، فالملكوت كلمة جغرافيَّة عند معظمنا. ولكنَّ الأمر ليس كذلك في الكتاب المقدَّس. فوَفقًا للكتاب المقدَّس، أفضل طريقة لفهم الملكوت هي أن نحسبَه ملكيَّةً أكثر من كونه مملكة كما نستخدم هذه الكلمة عادةً. لذا، فملكوت الله هو حُكم وسيادة وسلطة (مزمور ١٤٥: ١١، ١٣).

لكنَّ هناك كلمةً مهمَّةً أخرى ينبغي إضافتها إلى تعريفنا. يخبرنا

الكتاب المقدَّس بأنَّ الملكوت ليس مجرَّد حُكم وسيادة، بل هو سيادة وحُكم خلاصيّ. إنَّه السيادة الملآنة بالمحبَّة التي يمارسها على شعبه.

فالصَّوابُ أنْ ليس هناك متر مربَّع واحد في هذا الكون، ولا شخصٌ واحد، مستقلٌّ عن حُكم الله أو خارج سلطته بطريقةٍ ما. فهو مَن خلقَ الكلّ، وهو المتسلِّط على كلِّ شيء، وسيَدين الكلّ. ولكن عندما تُستخدم عبارة "ملكوت الله" في الكتاب المقدَّس، فإنَّها تشير بالتَّحديد إلى مُلك الله على شعبه، وسيادته على أولئك الذين خلَّصهم في المسيح. وهكذا يتحدَّث بولس الرسول بشأن نقل المؤمنين بالمسيح من سلطان الظلمة إلى ملكوت المسيح (كولوسِّي ١: ١٢-١٣)، وقد كان حريصًا على الإشارة إلى أنَّ الأشرارَ لن يَرِثوا ملكوتَ الله (١كورنثوس ٦: ٩).

يُعرَّفُ إذًا ملكوت الله ببساطة على أنَّه حُكم الله الخلاصيّ، وسيادته وسلطانه على الذين افتداهم بيسوع.

ملكوتٌ آتٍ

ثانيًا، ملكوت الله هنا. عندما بدأ يسوع خدمته على الأرض، كان يكرز برسالة مذهلة: "تُوبُوا لأَنَّهُ قَد اقتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّماوَات" (متَّى٣: ٢). في الواقع، يمكنك ترجمتها كما يلي "توبوا، لأنّ ملكوت الله قد أتى!" ورأينا سابقًا إعلان يسوع المذهل الذي وضعه بتلك الكلمات. لقد انتظر اليهود قرونًا، متأمِّلين ومصلِّين لأجل ظهور الملكوت، ولأجل اليوم الذي سيُؤسَّس فيه مُلك الله على الأرض ويتبرَّر شعبه في النهاية. والآن يخبرهم يسوع- هذا النجَّار الذي صارَ معلِّمًا- أنَّ اليوم الذي انتظروه صارَ واقعًا هنا.

ليس ذلك فحسب، فقد أخبرهم بأنَّ ملكوت الله بدأ فيه هو! ففي متَّى ١٢: ٢٨ عندما اتَّهم الفريسيون يسوع بأنَّه يطردُ الشياطين بِاسْم الشيطان، وبَّخهم يسوع وقدَّم إعلانًا مذهلًا لهم: "ولَكن إن كُنتُ أَنا برُوح اللَّه أُخرجُ الشَّياطينَ فَقَد أَقبَلَ عَلَيكُم مَلكُوتُ الله!" هل ترى ما يقوله؟ من الواضح أنَّ يسوع كان يُخرجُ الشياطينَ، وكان يفعل ذلك بروح الله، ويُعلن أنَّ وعد الله بخلاص شعبه بدأ أخيرًا. الملكوت قد أتى.

يا لها من فكرةٍ رائعة! إنَّ تجسُّدَ المسيح كان أكثر من مجرَّد زيارةٍ من الخالق. لقد كان البدء في الهجوم المضادِّ النهائيِّ والكامل الذي قام به الله على كلِّ ما دخل العالم مع سقوط آدم من خطيَّةٍ وموتٍ ودمار.

يمكنك رؤية الحرب الدائرة في كلِّ حياة يسوع في العهد الجديد. فالملك يسوع ذهب لمواجهة الشيطان في البرِّيَّة- الشيطان الذي أغوى آدم وألقى بالعالم في فسادٍ منذ عدَّة سنين- وهزمه على نحوٍ حاسم! لَمَس عيني الرجل المولود أعمى فأبصر النورَ أوَّل مرَّة. حدَّق في ظلام القبر المحزن وصرخ "لعازر هلمَّ خارجًا"! وبدأت تضعف قبضة الموت على الإنسان عندما مشى الرجل الميت إلى الخارج!

وفوق كلِّ شيء، هزَمَ الخطيَّة نفسها عندما صرخَ على الصليب "قد أُكمل!" وفشلت قبضة الموت تمامًا في النهاية عندما قال الملاك- بالتأكيد وهو مبتسم-: "لماذا تَطلُبنَ الحيَّ بَينَ الأَموات؟ لَيس هُو هَهنا لكنَّه قَامَ!" (لوقا ٢٤: ٥-٦). وهكذا خطوةٌ بخطوة، وبصفعةٍ تلو الأخرى كان يسوع يستردُّ بكلِّ حَسْمٍ الآثار المترتِّبة على السقوط. لقد أتى الملك الشرعيُّ إلى

هذا العالم، وتمَّت هزيمة كلِّ ما وقف عائقًا أمام تأسيس ملكوته- الخطيَّة والموت والجحيم والشيطان.

يعني هذا أنَّ الكثيرَ من بركات الملكوت هي لنا بالفعل. لذا يقول يسوع لتلاميذه إنَّه سيرسل لهم "معزِّيًا آخرَ"، الروح القدس، الذي سيقودهم ويبكِّتهم على كلِّ خطيَّة ويقدِّسهم. بالطريقة نفسها، يعلم المؤمنون اليوم معنى أن تكونَ ابنًا بالتبنِّي ضمن عائلة الله وما هو معنى التصالح معه. حتَّى الرسول بولس يقول إنَّنا في نظر الله، قُمنا مع المسيح وجلسنا معه (أفسس ٢: ٦).

هذه الحقيقة مشجِّعةٌ جدًّا. ولكنَّ هناك أمرًا آخرَ يجب أن نفهمه، ولا يقلُّ أهمِّيَّة عن هذه الحقيقة.

الملكوتُ لم يكتملْ بَعد

ثالثًا، لم يكتمل ملكوت الله بَعد، ولن يكتمل إلى أن يعود الملك يسوع ثانيةً. فمع كلِّ ما فعله يسوع لإسقاط قوى الشَّرّ، فإنَّه لم يؤسِّسْ حُكمَ الله على الأرض بصورةٍ كاملة ونهائيَّة- حتَّى الآن على الأقلّ. الرجل القويُّ مُقيَّد، ولكنَّه لم يُدمَّر. هُزم الشرُّ ولكنَّه لم يُبَدْ بعد. ودُشِّنَ ملكوت الله ولكنَّ العمل لم يُنجز بصورةٍ كاملةٍ بَعد.

تكلَّم يسوع عن يومٍ آتٍ في المستقبل، سيُكمَل فيه الملكوت أخيرًا. حيث قال إنَّه في ذلك اليوم سيرسل "ملائكَتَه فَيَجمَعُونَ من مَلَكوته جَميعَ المَعاثر وفاعِلي الإثم...حينَئذٍ يُضيءُ الأَبرَارُ كالشَّمس في مَلَكوت أَبيهم" (متَّى ١٣: ٤١-٤٣). إنَّه متشوِّقٌ أيضًا إلى العشاء الأخير، إلى ذلك

اليوم الذي سيشرب فيه من نتاج الكرمة مرَّةً أخرى مع تلاميذه: "وَأَقُولُ لَكُم: إِنِّي منَ الآنَ لاَ أَشرَبُ من نتَاج الكَرمَة هَذَا إِلَى ذَلكَ اليَوم حينَمَا أَشرَبُه مَعَكُم جَديدًا في مَلَكوت أَبي" (متَّى ٢٦: ٢٩).

يتوق بولس أيضًا إلى قيامة الموتى في الأبديَّة (١كورنثوس ١٥)، ويقول لأهل مدينة أفسس إنَّهم خُتِموا بالرُّوح القدس "الذي هُو عَربونُ ميرَاثنا، لفدَاء المُقتَنى، لمَدح مَجده" (أفسس ١: ١٤). ويقول لهم لاحقًا إنَّ الله خلَّصهم "ليُظهرَ في الدُّهُور الآتيَة غنَى نعمَته الفَائقَ باللُّطف عَلَينَا في المسيح يَسوعَ" (أفسس ٢: ٧). كما يتحدَّث الرسول بطرس أيضًا بشأن "خَلاصٍ مُستَعَدٍّ أَن يُعلَنَ في الزَّمَان الأَخير" (١بطرس ١: ٥).

ويقول كاتب الرسالة إلى العبرانيِّين لقرَّائه إنَّهم "غُرَبَاءُ وَنُزَلاءُ على الأَرض" (عبرانيِّين ١١: ١٣)، وإنَّهم ينبغي أن يتطلَّعوا إلى "المدينةَ التي لها الأساساتُ، التي صانعُها وبَارئُها الله" (عبرانيِّين ١١: ١٠).

إنَّ الرجاء العظيم لدى المؤمنين، والأمر الذي نتوق إليه ونبحث لأجله عن القوَّة والتشجيع، هو اليوم الذي سيترك فيه ملكُنا السموات ويعود لكي يؤسِّس ملكوته المجيد، أخيرًا وإلى الأبد. في تلك اللحظة المجيدة سيُصلَح كلُّ شيء في هذا العالم، عندها تتحقَّق العدالة أخيرًا، ويُهزم الشرُّ إلى الأبد، ويُثبَّت البرُّ مرَّة وإلى الأبد. يَعد الله قائلًا:

> "لأَنِّي هَئنَذَا خَالقٌ سَمَاوَاتٍ جَديدَةً وَأَرضًا جَديدَةً فَلا تُذكَرُ الأُولَى وَلا تَخطُرُ عَلَى بَالٍ. بَل افرَحُوا وَابتَهجُوا إِلَى الأَبَد في مَا أَنَا خَالقٌ لأَنِّي هَئنَذَا خَالقٌ أُورُشَليمَ بَهجَةً وَشَعبَهَا فَرَحًا. فَأَبتَهجُ بأُورُشَليمَ وَأَفرَحُ بشَعبي ولا يُسمَعُ بَعدُ فيهَا

صَوتُ بُكَاءٍ وَلا صَوتُ صُراخ" (إشعياء ٦٥: ١٧-١٩).

وفي ذلك اليوم يخبرنا النبيُّ:

"لا يَسوؤُونَ ولا يُفسدُونَ في كُلِّ جَبَل قُدسي لأَنَّ الأَرضَ تَمتَلئُ من مَعرفَة الرَّبِّ كَما تُغَطِّي المِيَاهُ البَحر"
(إشعياء ١١: ٩).

اعتقدتُ لمَّا كنتُ طفلًا أنَّ مصير المؤمن هو أن يُمضيَ الأبديَّة في خدمة لا تنتهي للكنيسة المتحرِّرة من الجسد. تلك فكرةٌ مخيفة، بل خاطئة كلِّيًا. فالله يريد أن يخلق لشعبه عالمًا جديدًا خاليًا من الخطيَّة والموت والمرض. الحرب ستنتهي، والظلم سيتوقَّف، وسيسكن الله مع شعبه إلى الأبد. ولن يعاني أيٌّ من شعب الله الموتَ ثانيةً، ولن تحرقَ الدموع أعينَهم عند القبر مرَّة أخرى. لن يعيشَ الرضيع بضعة أيَّام ثمَّ يموت. لن ننوح ونُجرح ونبكي بعد الآن. لن نشعر بالاشتياق إلى الوطن والانتماء بعد الآن. يخبرنا يوحنَّا في سفر الرؤيا بأنَّ الله نفسه سيمسح كلَّ دمعةٍ من عيوننا، وسنعاين وجهه أخيرًا!

ما رأيك بكلِّ ما سمعتَه؟ إنَّ أوَّل ما يمكن أن أفكِّر فيه هو: هيَّا تعال بسرعة يا ربُّ يسوع! أتعجَّب دائمًا عندما أرى أناسًا يتحدَّثون بكلِّ هذه الوعود- السموات الجديدة والأرض الجديدة، والمدينة السماويَّة التي لن يدخلَها الشَّرّ، العالم الذي يخلو من الموت والحرب والظلم، شعب الله المُقام يَحيَون بفرح أمام وجهه إلى الأبد- ثمَّ بعد ذلك يبحثون في تلك الوعود ويقولون: "حسنًا، فلنُحقِّق ذلك!"

في الحقيقة، نحن البشرَ لن نتمكَّن من إحداث ملكوت الله وإتمامه. مع كلِّ الجهود الجيِّدة والصادقة المبذولة لجَعْلِ العالم مكانًا أفضل، لن يأتيَ الملكوتُ الموعود به لنا في الكتاب المقدَّس إلَّا عندما يعود يسوع الملك بنفسه ثانيةً لتحقيق ذلك.

ينبغي أن نتذكَّر دائمًا هذا الأمر المهمَّ وذلك لسبَبين على الأقلّ: أوَّلًا، لأنَّه يحمينا من التفاؤل الخاطئ والخدَّاع بشأن ما يمكننا إنجازه في هذا العالم الساقط. حتمًا سيتمكَّن المؤمنون من إحداث بعض التغييرات في المجتمع، وهذا ما حدث في التاريخ من قبل، وليس لديَّ أيُّ سبب للتشكيك في حدوث هذا في بعض الأماكن حتَّى في أيَّامنا هذه، كما سيحدث هذا في المستقبل أيضًا. لقد أحدثَ المؤمنون، وهم قادرون على ذلك، تغييرات جيِّدة في العالم- تغييرات تُعيدُ المجد إلى الله وإلى يسوع المسيح أمام العالم.

ولكنِّي أعتقد أنَّ سيرَ القصَّة بحسب الكتاب المقدَّس يجبرُنا على الاعتراف بأنَّ انتصاراتنا الاجتماعيَّة والثقافيَّة ستبقى ضعيفةً دائمًا ولن تستمرّ، إلى أن يأتي المسيح ثانيةً. لن يتمكَّن المؤمنون من تحقيق ملكوت الله بتاتًا، فالله وحده هو القادر على القيام بذلك. أورشليم السماويَّة تنزل من السماء، ولا تُبنى من العدم.

ثانيًا، الأهمُّ من ذلك، عندما نتذكَّر أنَّ ملكوت الله لن يؤسَّس إلَّا عند عودة يسوع ثانيةً، فهذا سيجعلنا نركِّز آمالنا وعواطفنا على يسوع نفسه. فعوضًا عن البحث عن بعض القوَّة والأنشطة البشريَّة أو عن سلطة بشريَّة أو حتَّى مجهوداتنا لإصلاح كلِّ شيء، ننظر إلى السماء ونصرخ مع الرسول

يوحنَّا: "آمين، تعال أيُّها الربُّ يسوع!" سيزداد شوقنا إلى عودته، وستزداد حماسة صلواتنا له، وستتعمَّق محبَّتنا له. باختصار، ستتركَّز رغباتنا وآمالنا بثبات- وبصورةٍ صحيحة- على مَلك الملكوت، وليس على الملكوت.

الاستجابة للملك

رابعًا، الانضمام إلى ملكوت الله يعتمد كلِّيًّا على استجابة الشخص للملك. وقد كان يسوع واضحًا جدًّا بهذا الشأن. نجده مِرارًا وتَكرارًا يجعل من استجابة الشخص تجاه رسالته، العامل الحاسم الوحيد في إمكانيَّة انضمام الشخص إلى ملكوته. فكِّر في قصَّة الشابِّ الغنيِّ الذي سأل يسوع "ماذَا أَعمَلُ لأَرِثَ الحَياةَ الأَبَديَّة؟" أجابه يسوع في النهاية "اتبَعني"، عنى هذا لذلك الشابِّ التوقُّف عن وضع ثقته في ثروته، والإيمان بيسوع (مرقس ١٠: ١٧، ٢١).

مرَّةً تلو الأخرى، يقول يسوع إنَّ الله سيرسم خطًّا فاصلًا ساطعًا يفصل ما بين البشر- فاصلًا المُخلَّصين عن غير المُخلَّصين. والأمر الوحيد الذي سيُحدث الفرق بين الاثنين هو كيفيَّة تجاوُب الأشخاص تجاه يسوع الملك. فهذا هو المغزى من قصَّة الخراف والجداء في متَّى ٢٥. ففي النهاية، الفرق بين "تعالوا" و"اذهبوا عنِّي" هو كيفيَّة تجاوب كلِّ شخص مع يسوع عندما تُقدَّم له رسالة الخلاص من قبل "إخوته"، أي شعبه.

وبكلِّ تأكيد، الأمر الأوَّل الذي يجعلنا من ضمن شعب يسوع، هو موته على الصليب من أجلنا. وهذا هو الأمر المدهش حقًّا في يسوع، وليس فقط أنَّه ملك أو ابتدأ ملكوت المحبَّة والرحمة. حقًّا، هذا هو

الأمر المدهش، فقد عَلمَ كلُّ يهوديٍّ أنَّ هذا سيحدث يومًا ما؛ ولكنَّ الأمر المدهش في بشارة إنجيل يسوع هو أنَّ الملك ماتَ ليُخلِّص شعبه، وأنَّ المسيَّا صارَ المسيَّا المصلوب.

على مدى عدَّة قرون، كان اليهود يأملون في مجيء ملك مسيانيٍّ يخلِّصهم. كما كانوا ينتظرون مجيء عبد الربِّ المتألِّم (الذي تنبَّأ عنه إشعياء)، كما كانت لديهم توقُّعاتٌ غامضة عن "ابن الإنسان" الإلهيِّ الذي سيظهر في نهاية الدهر (دانيال). غير أنَّ ما لم يفهموه تمامًا هو أنَّ هذه الشخصيَّات الثلاث تعود إلى الشخص نفسه! لا أحد سيربط هذه الشخصيَّات الثلاث معًا- على الأقلِّ إلى مجيء يسوع.

ولكنَّ يسوع أعلنَ عن نفسه ليس فقط بصفته مَن سيحقِّقُ آمالَ شعب إسرائيل بمجيء المسيَّا (أي الملك)، بل أشار أيضًا إلى نفسه باستمرارٍ أنَّه "ابن الإنسان" الإلهيُّ المذكور في دانيال ٧. بل أكثر من ذلك، تحدَّث يسوع بشأن ابن الإنسان الذي جاء "لِيَخدمَ وَلِيَبذلَ نَفسَهُ فديَةً عَن كَثيرين" (مرقس ١٠: ٤٥). ممَّا يشير ودون أدنى شكٍّ إلى عبد الربِّ المتألِّم المذكور في إشعياء ٥٣: ١٠.

هل ترى ما كان يعلنُه يسوع؟ كان يقول إنَّه هو نفسُه حقَّقَ جميع الأدوار في الوقت ذاته: المسيَّا الآتي من نسل داوُد، وعبد الربِّ المتألم المذكور في إشعياء، وابن الإنسان المذكور في دانيال! أخذ يسوع طبيعة ابن الإنسان الإلهيَّة وضمَّ إليها آلامَ العبد التي تحمَّلها بدل البشر، وأخيرًا جمع الكلَّ بدَوره الخلاصيِّ في المسيَّا. مع الوقت، جمع يسوع بين جميع خيوط آمال اليهود، وكان هذا الملك أكثر بكثير من مجرَّد ملك أرضيٍّ

ثوريٍّ كما كان يأمل اليهود. لقد كان ملكًا خادمًا إلهيًّا، سيعاني ويموت من أجل شعبه كي يفوزَ بخلاصهم، ويجعلهم أبرارًا أمام أبيه، ويحضرهم بمجد إلى ملكوته.

في ضوء كلِّ ذلك، لا عجب أنَّ يسوع جعل دخول ملكوته معتَمِدًا فقط على توبة الشخص عن خطيَّته، والثقة بالمسيح وبعمله الكفَّاري على الصليب. عندما يتحدَّث يسوع بشأن "إنجيل الملكوت" ليس الغرض من ذلك الإشارة إلى أنَّ الملكوت أتى، بل ليُعلنَ أنَّ الملكوت أتى ويمكنك الدخول فيه إذا اتَّحدتَ معي، أنا الملك، بالإيمان بأنِّي أنا الوحيد القادر على منحك الخلاص من خطيَّتك.

لذلك، أن تكون مواطنًا في ملكوت المسيح ليس مجرَّد مسألة أن "تحيا حياة الملكوت" أو أن "تتبع مثالَ يسوع" أو أن "تحيا كما عاش المسيح". ففي الحقيقة، يمكن لأيِّ شخص أن يدعو نفسه "تابعًا ليسوع" أو أنَّه "يحيا حياة الملكوت" وهو لا يزال خارج الملكوت. يمكنك أن تحيا الحياة التي عاشها يسوع كما تريد، ولكن إنْ لم تأتِ عند الملك المصلوب بتوبة وإيمان، معتمدًا عليه وحده حاسبًا إيَّاها الذبيحة الكاملة عن خطيَّتك، والرجاء الوحيد لخلاصك، فلن تكونَ مؤمنًا حقيقيًّا ولا مواطنًا في ملكوته.

الطريقة التي يمكننا بها الانضمام إلى ملكوت المسيح، هي أن نأتيَ إلى الملك، لا لكي نشيدَ به حاسبين إيَّاه مثالًا عظيمًا يعلِّمنا كيف نحيا بطريقةٍ أفضل، بل باتِّضاعٍ واثقين به أنَّه الربُّ المصلوب المـُقام الذي يمكنه وحده أن يحرِّرنا من عقوبة الموت. في نهاية المطاف، الطريق الوحيد لدخول الملكوت هو دم الملك.

دعوةٌ للحياة لأجل الملك

خامسًا، أن تكون مواطنًا في الملكوت، يعني أن تكون مدعوًّا لتحيا حياة الملكوت. في رسالة رومية الأصحاح ٦، يدعو الرسول بولس المؤمنين أن يعترفوا أنَّهم أُنقِذوا من سلطان الخطيَّة وأُحضِروا إلى ملكوت الله.

> "فَدُفنَّا مَعَهُ بالمعموديَّة للمَوت حَتَّى كَمَا أُقيمَ المَسيحُ منَ الأَموَات بِمَجد الآب هَكَذَا نَسلُكُ نَحنُ أَيضًا في جدَّة الحَيَاة. لأَنَّهُ إن كنَّا قَد صرنَا مُتَّحدينَ مَعَهُ بشبه مَوته نَصيرُ أَيضًا بقيَامَته. عَالمينَ هَذَا: أَنَّ إنسانَنَا العَتيقَ قَد صُلبَ مَعَهُ ليُبطَلَ جَسَدُ الخطيَّة كَي لاَ نَعُودَ نُستَعبَدُ أَيضًا للخطيَّة. لأَنَّ الَّذي مَاتَ قَد تَبَرَّأَ منَ الخطيَّة. فَإن كنَّا قَد مُتنَا مَعَ المَسيح نُؤمنُ أَنَّنَا سَنَحيَا أَيضًا مَعَه. عَالمينَ أَنَّ المسيحَ بَعدَمَا أُقيمَ منَ الأَموَات لا يَمُوتُ أَيضًا. لا يَسُودُ عَلَيه المَوتُ بَعدُ. أَنَّ المَوتَ الذي مَاتَه قد مَاتَهُ للخطيَّة مَرَّةً وَاحدَةً وَالحَيَاةُ الَّتي يَحيَاهَا فَيَحيَاهَا للَّه. كَذَلكَ أَنتُم أَيضًا احسبُوا أَنفُسَكُم أَمواتًا عَن الخطيَّة وَلَكن أَحيَاءً لله بالمَسيح يَسُوعَ رَبِّنا" (رومية ٦: ٤-١١).

عندما ندخلُ بالإيمان ملكوتَ الله، يمنحنا الروح القدس حياةً جديدة. نصيرُ مواطنين في ملكوتٍ جديد، ورعايا ملكٍ جديد. وبسبب ذلك، يصير لدينا التزامٌ جديد لطاعة ذلك الملك، وأنْ نحيا بالطريقة التي تُكرمُه وتمجِّده. لذا يقول الرسول بولس:

"لا تَملكَنَّ الخطيَّة في جَسَدكُمُ المائت لكَي تُطيعوها في شَهَواته. ولا تُقَدِّموا أَعضَاءكُم آلاتِ إثمٍ للخطيَّة بَل قَدِّموا ذَوَاتكُم لله كأَحياءٍ من الأَموَات وَأَعضَاءَكُم آلات برٍّ لله" (رومية ٦: ١٢-١٣).

وإلى أن يأتي المسيح ثانيةً، سنبقى نحن شعبه نحيا في هذا العصر الحافل بالخطيَّة، وملكنا يدعونا لأن نحيا الحياة التي تليق بالملكوت الذي دعانا إليه. "ونُشهدُكُم لكَي تَسلُكوا كَمَا يَحقُّ لله الَّذي دَعَاكُم إلَى مَلَكُوته وَمَجده" (١تسالونيكي ٢: ١٢). "وَسَط جيلٍ مُعَوَّجٍ وَمُلتَوٍ، تُضيئُونَ بَينَهُم كَأَنوارٍ في العَالَم" (فيلبِّي ٢: ١٥). أن نحيا حياتنا وَفقًا لحياة الملكوت، هذا لا يدخلنا الملكوت إطلاقًا، بل بمجرَّد أن نُحضَرَ إلى الملكوت بالإيمان بالملك، نجد أنفسنا مع سيِّدٍ جديد، وشريعةٍ جديدة، وميثاقٍ جديد وحياةٍ جديدة- وهكذا نرغب في أن نحيا حياة الملكوت.

يخبرنا الكتاب المقدَّس أنَّ حياة الملكوت تتحقَّق في هذا العصر بالدرجة الأولى في الكنيسة. هل سبق وفكَّرت في هذا من قبل؟ الكنيسة هي المكان الذي يظهر فيه ملكوت الله بصورة مرئيَّة في هذا العصر. انظر (أفسس ٣: ١٠-١١).

"لكَي يُعَرَّفَ الآنَ عندَ الرُّؤَسَاء وَالسَّلاطين في السَّمَاويَّات بوَاسطَة الكَنيسَة بحكمَة الله المتَنَوِّعة، حَسَبَ قَصد الدُّهُور الَّذي صَنَعَه في المَسيح يَسوعَ رَبِّنا".

إنَّ الكنيسةَ هي الميدان الذي اختاره الله قبل كلِّ شيء، ليُظهر فيه

حكمته ومجد الإنجيل. وكما قال الكثيرون من قبل: الكنيسة هي القاعدة المركزيَّة لملكوت الله في هذا العالم. من الخطأ أن نقولَ إنَّ الكنيسةَ هي ملكوت الله. فكما رأينا من قبل، ملكوت الله أكثر بكثير من ذلك. ولكن الصواب هو أن نقول إنَّ الكنيسة هي المكان الذي نرى فيه تجلِّي ملكوت الله في هذ العصر.

هل تريد أن ترى كيف يبدو الملكوت، قبل أن يصيرَ كاملًا على الأقلّ؟ هل تريد أن ترى حياة الملكوت مُعاشةً في زمننا هذا؟ انظر إلى الكنيسة. فيها تُعرض حكمة الله، إنَّها المكان الذي صارَ فيه مَن كانوا قبلًا معزولين ومنفيِّين، متصالحين ومتَّحدين بسبب يسوع. وفيها يعمل الروح القدس على إعادة صنع حياة الإنسان وبنائها. إنَّها المكان الذي يتعلَّم فيه الناس أن يحبُّوا بعضهم بعضًا، وأن يحملوا بعضهم أحمال بعض، وأحزان بعضهم بعضًا، ويبكوا معًا ويفرحوا معًا، ويحاسبوا بعضهم بعضًا بمحبَّة من أجل خير بعضهم بعضًا. دون شكّ، ليست الكنيسة كاملة، ولكنَّها المكانُ التي تُعاش فيه حياة الملكوت لكي تَبرُزَ في عالمٍ يحتاج بشدَّة إلى الخلاص.

التقدُّم وسط الظلام

إنَّ الاحتياج الشديد إلى خلاص العالم يصعِّب حتمًا العيش علينا بصفة مواطنين في ملكوت المسيح في هذا العصر. فالعالم يرى أن المؤمنين بالمسيح ليسوا تهديدًا له، وهذا أمرٌ قديمٌ ومستمرٌّ حتَّى الآن. وفي أيَّام الكنيسة الأولى، كان إعلان "يسوع هو الربّ!" يحرِّض على الفتنة والتجديف ورفض سلطة الإمبراطور، وقد قُتل المسيحيُّون بسبب تصريحهم بهذا الإعلان. أمَّا

اليوم فيُعدُّ إعلان "يسوع هو الربّ!" تعصُّبًا، ورفضًا للتعدُّديَّة، والعالم يشتِمُنا بسبب ذلك.

لم يُذكَر في الكتاب المقدَّس بتاتًا أنَّ حياةَ الملكوت- الصراع للبقاء مخلصًا للملك- ستكون سهلة. فقد وعَدَ يسوع تلاميذه بأنَّهم سيواجهون الاضطهاد، وأنَّهم سيُلعَنون وسيُستهزَأ بهم، بل سيُقتَلون أيضًا. ولكنْ وسط هذا كلِّه، سنتقدَّم نحن المؤمنين إلى الأمام لأنَّنا نعلم أنَّه في محضر الله لنا ميراثٌ يتجاوز حدود مخيِّلتنا.

في آخر كتاب من الملحمة الرائعة **"سيِّد الخواتم"** *(The Lord of the Rings)* للكاتب جاي. آر. تولكين (J. R. R. Tolkien)، يصل أبطال القصة إلى أحلك جزء من رحلتهم. لقد سافروا آلاف الأميال ووصلوا أخيرًا إلى أرض الشَّرّ، وهذا كان هدفهم. ولكن يبدو كلُّ شيء خارجًا عن السيطرة الآن، وذلك يعود إلى عدَّة أسبابٍ مختلفة. ولكن في تلك اللحظة المظلمة، نظر أحد الأبطال، وهو سام، إلى السماء السوداء. وإليكم هنا ما كتبه تولكين:

> "بعيدًا هناك فوق الجبال في الغرب. لا تزال سماء الليل قاتمةً وشاحبة. هناك، بالنظر خلسةً إلى حطام الغيمة فوق الهضبة المظلمة عاليًا في الجبال، رأى سام نجمًا أبيضَ يتلألأ لبعض الوقت. وبينما هو يتطلَّع إلى الخروج من تلك الأرض المهجورة، اخترقَ جمال النجم قلبَه وعاد الرجاء إليه. وكالرُّمح اخترقَتْه فكرةٌ واضحةٌ وحاسمة: أنَّ هناك أمرًا صغيرًا وعابرًا في نهاية الظلال- كان هناك نورٌ وجمالٌ خلَّابٌ دائم يفوق التصوُّر".

تلك إحدى اللحظات المفضَّلة عندي في الرواية. ففي هذه اللحظة يوجِّه تولكين، الذي أعلن إيمانَه بالمسيح، أنظارنا إلى المكان الذي نجدُ فيه الشجاعةَ لنتقدَّم وسط الظلام. فمن هناك يأتي الرجاء: من إدراكنا أنَّ المعاناة الحاليَّة هي بالفعل ضئيلةٌ وعابرة. وكما قال الرسول بولس عنها إنَّها معاناة لا تساوي شيئًا مقارنة بالمجد المعلَن فينا عندما يعودُ ملكنا.

الفصل ٧

الحفاظ على مركَزيَّة الصليب

نقرأ في كتاب **"سياحة المسيحيّ"** *(Pilgrim's Progress)* للكاتب جون بنيان (John Bunyan)، كيف أنَّ بطل القصَّة، وهو مؤمنٌ بالمسيح، يجد نفسه في إحدى المراحل يتحدَّث مع زميلَين غامضَين، أحدهما يدعى "الشكليّ" والآخر "الرياء". ويصرُّ هذان الغامضان أنَّهما مثل المؤمن في طريقهما إلى المدينة السماويَّة، وواثقان بوصولهما هناك بسبب أنَّ الكثير من بلدتهما قد وصلوا قبلهما.

دون شكّ، هذان الغامضان (بهذين الاسمَين) لن يذهبا إلى المدينة السماويَّة.

في المرَّة الأولى التي رأى فيها ذلك المؤمن الرجلَين، كانا يتدلَّيان على الجدار الممتدِّ على طول الطريق الضيق الذي كان يمشي عليه. أدركَ حينها أنَّ هناك مشكلة؛ لأنَّه يعلم أنَّ الطريقة الشرعيَّة الوحيدة لدُخول الطريق الضيِّق كانَ البوَّابة الصغيرة، والتي ترمز في القصَّة إلى التوبة والإيمان بالمسيح المصلوب.

لم يخشَ المؤمن بالمسيح من الدخول في صُلب الموضوع البتَّة،

والضغط عليهما بخصوص هذا الأمر: "لماذا لم تدخلا من البوَّابة؟" فشرح الرجلان بسرعة أنَّ شعب مدينتهما اعتقدوا أنَّ البوَّابة بعيدةٌ جدًّا، لذا قرَّرا منذ مدَّة طويلة "اتِّخاذ طريقٍ مختصر". وقالا أيضًا:

> "ما أهمِّيَّة طريقة وصولنا إلى هنا، ما دمنا وصَلْنا إلى الطريق؟ فنحن هنا، وهذا هو المهمّ. أنت هنا على الطريق، ووصلتَ إلى هنا عبر البوَّابة؛ نحن هنا على الطريق، وقد تسلَّقنا الجدار للوصول. فما الذي يجعلك أفضل منَّا؟"

يحذِّر المؤمن بالمسيح الرجلَين أنَّ سيِّد المدينة أصدرَ مرسومًا يقضي بوُجوب دخول المدينة السماويَّة عبر الطريق الضيِّق بواسطة البوَّابة حصرًا. وأراهم قطعة ورقيَّةً ملفوفة بطريقة حلزونيَّة، كان قد أخذها عند البوَّابة، والتي يجب أن يُظهِرَها عند بوَّابة المدينة ليتمكَّن من الدخول. فيقول لهم المسيحيُّ: "ظنِّي أنَّكما لا تمتلكان مثل هذه المخطوطة، لأنَّكما لم تدخلا من البوابة".

أراد الكاتب أن يبيِّن أنَّ الطريق الوحيد للخلاص هو عبر البوَّابة الصغيرة- التوبة والإيمان. فالانتقال عبر طريق الحياة المسيحيَّة ليس كافيًا. وإنْ لم يأتِ الشخص عبر تلك البوَّابة، فلن يكونَ مسيحيًّا حقًّا.

بشارة إنجيل أكبر وأكثر ارتباطًا؟

إنَّها قصَّةٌ قديمة، بل إنَّها نقطةٌ قديمة جدًّا حاول بنيان تأكيدها. فمنذ القديم حاولَ البشر نَيلَ خلاص أنفسهم بطرقٍ تبدو منطقيَّةً عندهم، بدلَ الإصغاء إلى الله والخضوع له. فقد حاولوا اكتشاف كيفيَّة تحقيق

الخلاص، وكيفيَّة تطبيق بشارة الإنجيل، بمعزل عن بوَّابة الدخول الصغيرة، أي بمعزل عن صليب يسوع المسيح.

وهذه هي الحال في أيَّامنا هذه. إنِّي أومن بأنَّ أحَدَ أعظم المخاطر التي يواجهها جسد المسيح اليوم هو الوقوع تحت إغراء إعادة التفكير في بشارة الإنجيل وإعادة صياغتها بطريقةٍ تجعلها ترتكز على أمرٍ آخر غير موت يسوع على الصليب نيابةً عن الخطاة.

هناك ضغطٌ هائلٌ للقيام بذلك، ويبدو أنَّه يأتي من عدَّة اتِّجاهات. من أهمِّ المصادر الرئيسيَّة لهذا الضغط، تلك الفكرة الشائعة والمتزايدة القائلة إنَّ بشارة غفران الخطيَّة بموت المسيح ليست "كبيرة" بما يكفي، فهي لا تعالج مواضيع مثل الحرب والاضطهاد والفقر والظلم، وهي ليست بهذا القدر "الرهيب من الأهمِّيَّة"، بحسب ما قاله أحد الكتَّاب، عندما يتعلَّق الأمر بالمشكلات الواقعيَّة في العالم.

الآن، أعتقد أنَّ هذه التهمة غير صحيحة تمامًا. فجميع تلك المشكلات، هي في جذورها نتيجةٌ لخطيَّة الإنسان. ومن الحماقة أن نعتقد أنَّه بمزيدٍ من النشاط وبزيادة الاهتمام والمزيد من التركيز للعيش وَفقًا للحياة التي عاشها يسوع، يمكننا حلُّ تلك المشكلات. كلَّا! الصليب وحده يستطيع التعامُل حقًّا مع جميع تلك الخطايا، وبالصليب وحده يتمكَّن البشر من الانضمام إلى ملكوت الله.

ومع ذلك، يبدو أنَّ الضغط الملحَّ لإيجاد إنجيل "أكبر" و"أكثر ترابطًا" قد سيطر على عدد كبير من الناس. إذ مرَّةً تلو الأخرى، وفي كتابٍ تلو الآخر، نرى أوصافًا لبشارة الإنجيل تنتهي بوضع الصليب في موقعٍ ثانويّ.

وتظهر مكانه إعلاناتٌ تبيِّن أنَّ مركَزَ بشارة الإنجيل هو أنَّ الله يُعيد تشكيل العالم، أو أنَّه يَعِدُ أنَّ الملكوت سيُصلح كلَّ الأمور، أو أنَّه يدعونا للانضمام إليه في العمل على تغيير ثقافتنا. أيًّا كانت التفاصيل، ستبقى النتيجة دائمًا هي تهميش موت يسوع نيابةً عن الخطاة، أو حسبانه مجرَّد افتراض، أو حتَّى تجاهله (بتعمُّد أحيانًا).

ثلاثُ بشائر بديلة

يحدث هذا الانحراف عن مركَزيَّة الصليب بمهارة بين المؤمنين الإنجيليِّين، إذ أرى هذا بطرق مختلفة. فقد انتشرت مؤخَّرًا عدَّة بشائر "أكبر وأفضل"، ويبدو أنَّ هناك عددًا كبيرًا من الأتباع لكلٍّ من هذه البشائر. ولكن ما دامت هذه البشائر "الأكبر" تجعل مركَز بشارة الإنجيل أمرًا آخر غير الصليب، فإنِّي أقول إنَّها أقلُّ من أن تكونَ بشارة إنجيل أو أنَّها ليست هي بشارة الإنجيل بتاتًا. فلأضربْ لكم ثلاثة أمثلة عليها.

إعلان "يسوع هو الرَّبّ" ليس هو بشارة الإنجيل

أشهر هذه البشائر "الأكبر"، هي تلك التي تدَّعي أنَّ الخبر السارَّ هو ببساطة إعلان أنَّ "يسوع هو الرَّبّ". وكما ينادي الموظَّف الحكوميُّ عند دخوله المدينة ويعلن أنَّ "القيصر هو السيِّد"، يُنادي الكارزون المسيحيُّون بالخبر السارِّ مُعلِنين أنَّ يسوع هو مَن يحكم، وأنَّه يصالح العالم لنفسه، ويجعله تحت سيادته.

دون شكّ، هذا الإعلان صحيحٌ ورائعٌ تمامًا! وإعلان سيادة يسوع أمرٌ أساسيٌّ في رسالة الإنجيل. لذلك يقول بولس في رومية ١٠: ٩ إنَّ كلَّ مَن

يعترف بأنَّ "يسوع ربٌّ" سيخلص، كما يقول في ١كورنثوس ١٢: ٣ إنَّه بقوَّة الروح القدس فقط يستطيع الشخص أن يؤكِّد بشدَّة تلك الحقيقة.

غير أنَّ من الخطأ القول إنَّ ذلك الإعلان "يسوع ربّ"، هو كلُّ مضمون الخبر السارِّ في المسيحيَّة. لقد رأينا مسبَّقًا أنَّ المسيحيِّين الأوائل قالوا أكثر بكثير من ذلك عندما أعلنوا بشارة الإنجيل. نعم في سفر أعمال الرسل الأصحاح الثاني، وعظَ الرسول بطرس قائلًا: "فَلْيَعلَم يَقينًا جَميعُ بَيت إسرَائيلَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هَذَا الَّذي صَلَبتُمُوهُ أَنتُم رَبًّا وَمَسيحًا" (العدد ٣٦). ولكن قبل هذه العبارة وبعدها، هناك توضيح كامل لمعنى سيادة يسوع. إنَّها تعني أنَّ هذا الربَّ صُلب ودُفن وقام، كما تعني أنَّ موته وقيامته حقَّقا قبل كلِّ شيء غفران الخطايا لأولئك الذين سيتوبون ويؤمنون به. أعلن بطرس ليس فقط أنَّ يسوع هو السيِّد الرَّبّ، بل أعلنَ أيضًا أنَّ هذا الربَّ قام بعملٍ نيابةً عن شعبه ليخلِّصَهم من غضب الله على خطيَّتهم.

ينبغي أن يكونَ واضحًا الآن أنَّ إعلان "يسوع ربٌّ" لن يكونَ هو الخبرَ السارَّ بتاتًا، إنْ لم نوضحْ أنَّ يسوع ليس فقط الربَّ بل أيضًا المخلِّص. تعني السيادة الحقَّ في الحُكم، وقد رأينا مسبَّقًا أنَّ الله عازمٌ على إدانة الشَّرّ. لذا فإعلان سيادة يسوع وأنَّه ربّ، يُعدُّ خبرًا مرعبًا للخطاة المتمرِّدين على الله وعلى مسيحه. إذ يعني أنَّ عدوَّك فاز بالعرش، وسيَدينك على تمرُّدك عليه.

فحتَّى يكون هذا الخبر سارًّا وليس مرعبًا، يجب أن يتضمَّن إعلانَ الطريقة التي يُغفَرُ فيها تمرُّدك، الطريقة التي تُصالَح مع ذاك الذي جُعلَ

ربًّا. هذا تمامًا ما نراه في العهد الجديد- ليس فقط إعلان أنَّ يسوعَ ربٌّ، بل أيضًا أنَّ هذا الربَّ صُلب لينال الخطاةُ الغفرانَ ويؤتى بهم إلى فرح ملكوته العتيد. بعيدًا عن ذلك، لن يكون إعلان سيادة الربِّ سوى حُكمٍ بالموت.

"الخليقة- السقوط- الفداء- الإتمام" ليست هي بشارة الإنجيل

اختصر كثيرٌ من المؤمنين قصَّة الكتاب المقدَّس مستخدمين أربع كلمات: الخليقة، السقوط، الفداء، الإتمام.

في الحقيقة، تُعدُّ تلك الخطوط العريضة طريقةً جيِّدةً لتلخيص مسار قصَّة الكتاب المقدَّس الرئيسيَّة. يخلقُ الله العالم، يُخطئ الإنسان، ثمَّ يفتدي الله شعبَه لنفسه في يسوع المسيَّا، وينتهي التاريخ بإتمام نهائيٍّ لملكوته المجيد. من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا، هذه وسيلة رائعة لتذكُّر قصَّة الكتاب المقدَّس الرئيسيَّة. في الواقع، عندما تفهمها وتعبِّر عنها بطريقةٍ صحيحة، تقدِّم لك الخطوطُ العريضة- الخليقة والسقوط والفداء والإتمام- إطارًا جيِّدًا لعرضٍ تقديميٍّ أمين لبشارة الإنجيل بحسب الكتاب المقدَّس. غير أنَّ المشكلة هي أنَّ بعضَ الناس استخدموا هذه الخطوط العريضة الأربعة بطريقةٍ خاطئةٍ لتكونَ وسيلةً لتركيز بشارة الإنجيل على وعد الله بتجديد العالم، بدلَ التركيز على الصليب. وفي كثيرٍ من الأحيان، تُقدَّم بشارة الإنجيل القائمة على (الخليقة والسقوط والفداء والإتمام) على النحو التالي:

> في البداية خلق الله العالم وكلَّ ما فيه. وكان كلُّ شيء في الأصل صالحًا، ولكنَّ الإنسان تمرَّد على سلطان الله، وألقى

> بالعالم في حالةٍ من الفوضى. وهكذا انقطعَتِ العلاقة ما بين البشر والله، وكذلك أيضًا علاقات البشر بعضهم ببعضٍ، وبأنفسهم وبعالمهم. ولكنْ بعد السقوط، وعد الله بأن يرسل ملكًا سيفتدي شعبًا لنفسه ويصالح ما بين الخليقة والله من جديد. بدأ تحقيق هذا الوعد بمجيء يسوع المسيح، ولكنَّه سيكتمل أخيرًا (يُتمَّم) عندما يعود الملك يسوع ثانيةً.

دون شكّ، كلُّ ما كُتب في هذه الفِقرة حقيقيّ. ولكنَّه ليس هو بشارة الإنجيل. تمامًا كما أنَّ إعلان سيادة يسوع "يسوع ربّ" ليس هو الخبر السارّ، ما لم تكن هناك وسيلة لغفران تمرُّدك على الله. إذًا حقيقة أنَّ الله يعيد تشكيل العالم ليست هي الخبر السارّ، إنْ لم تُدرَج فيه.

من الجيِّد تمامًا استخدام رباعيَّة الخطوط العريضة لتكون وسيلةَ توضيح للخبر السارِّ في المسيحية. في الواقع، تتماشى تعبيرات "الخليقة" و"السقوط" تمامًا مع تعبيرات "الله" و"الإنسان". ومع ذلك تأتي النقطة الحاسمة في تعبير "الفداء". فمن أجل إعلان بشارة الإنجيل بصدق، يجب أن نشرح بدقَّةٍ موت يسوع وقيامته، والاستجابة التي يتطلَّبها الله من الخطاة. إذا قلنا فقط إنَّ الله يفدي الناس ويعيد تشكيل العالم، دون التطرُّق إلى طريقة قيامه بذلك (بموت يسوع وقيامته)، وكيفيَّة إدراج الشخص ضمن ذلك الفداء (بالتوبة عن الخطيَّة والإيمان بيسوع)، فإنَّنا لا نعلن بذلك الخبر السارّ؛ إذ إنَّنا نروي ببساطةٍ قصَّة الكتاب المقدَّس في خطوطها العريضة، ونترك الخطاة حائرين في حالةٍ من البحث.

"التحوُّل الثقافيّ" ليس هو بشارة الإنجيل

يبدو أنَّ فكرة رؤية الثقافة تغيَّرت بعمل المؤمنين استولت مؤخَّرًا على أذهان العديد من الإنجيليِّين. أعتقد أنَّ هذا هدفٌ نبيل، وأرى أيضًا أنَّ الجهد المبذول لمقاومة الشرِّ، سواء على المستوى الشخصيّ أم الجماعيّ، هو هدفٌ في صُلبِ الكتاب المقدَّس. يخبرنا الرسول بولس بأنَّ علينا أن "نَعمَل الخَيرَ للجَميع، ولا سيَّمَا لأَهل الإِيمَان" (غلاطِيَّة ٦: ١٠). كما يخبرنا يسوع بأنَّ علينا الاهتمام بجيراننا، وبالغرباء أيضًا (لوقا ١٠: ٢٥-٣٧). كما يقول لنا "فَلْيُضئ نُورُكُم هَكَذَا قُدَّامَ النَّاس لكَي يَرَوا أَعمَالَكُمُ الحَسَنَةَ وَيُمَجِّدوا أَبَاكُمُ الَّذي في السَّمَاوات" (متَّى ٥: ١٦).

ولكنَّ العديد ممَّن ينادون بتغيير الثقافة السائدة، يذهبون إلى أبعد من ذلك. إذ تجدُهم يحاولون العثورَ على تكليفٍ "لافتداء الثقافة" في نسجٍ ذاتيٍّ لقصَّة الكتاب المقدَّس. يقولون مثلًا، إذا كان الله يعمل على إعادة تشكيل العالم، فمن مسؤوليَّتنا الانضمام إليه ومشاركته في العمل. فلنجمعْ موادَّ بناء الملكوت معًا، ونتَّخذ الخطوات المهمَّة من أجل تحقيق سيادة الله في أحيائنا ومدننا وأمَّتنا وعالمنا. يقولون: "يجب أن نعمل ما نرى الله يعمله".

فلأتابعْ بِعَرْضِ جميع أفكاري بوضوح. لديَّ بعض التحفُّظات من الكتابيَّة واللاهوتيَّة الجادَّة بشأن نموذج التحوُّل الثقافيّ. لستُ مقتنعًا بأنَّ الكتاب المقدَّس يعطي التحوُّل الثقافيَّ تلك الأولويَّة التي يدَّعيها مَن ينادون به، وذلك لعدَّة أسباب. من جهة، أنا لا أعتقد أنَّ التكليف الثقافيَّ في سفر التكوين أُعطي لشعب الله بحدِّ ذاته، ولكنَّه أُعطي لكلِّ الجنس

البشريّ. أيضًا لا أعتقد أنَّ المسار العامَّ للثقافة البشريَّة، سواء في الكتاب المقدَّس أم في التاريخ، هو في الاتِّجاه الإلهيّ، بل أرى أنَّه عمومًا- إنْ لم يكن بصورة خاصَّة جدًّا- هو في اتِّجاه الدينونة (انظر رؤيا ١٧-١٩). من ثَمَّ أرى أنَّ تفاؤل العديد ممَّن يركِّزون على تغيير الثقافة السائدة بشأن إمكانيَّة "تغيير العالم" هو أمرٌ مضلِّل، لذا سيُثبت أنَّه أمرٌ محبِط.

غير أنَّ كلَّ ذلك يخضعُ لنقاشٍ لاهوتيٍّ كبير، وهذا ليس ما يشغلني هنا. ولكنِّي أرى بالفعل أنَّه يمكنك التزام مفهوم تغيير الثقافة السائدة، وفي الوقت نفسه تلتزمُ الحفاظَ على الصليب في صميم قصَّة الكتاب المقدَّس والخبر السارّ. ففي نهاية المطاف، سيستخدم الله شعبه الذي افتداه والذي نال الغفران ليُنجزَ هذا التغيير، ولا يتمُّ هذا الغفران والفداء إلَّا بالصَّليب.

الأمر الأساسيُّ الذي يشغلني، والذي أرجو أن يتَّفق معي فيه أصدقائي الإنجيليُّون الذين يتبنَّون فكر تغيير الثقافة السائدة، هو أنَّه كثيرًا ما يصير افتداء الثقافة لدى مَن يتبنُّون فكر تغيير الثقافة السائدة، هو الوعد العظيم ومغزى بشارة الإنجيل- بالتأكيد الأمر الذي يعني، سواء عن قصد أم غير قصد، خروج الصليب من المشهد. يمكنك رؤية هذا في كتابٍ تلو الآخر، فجميعها تدعو إلى مزيد من التركيز على تغيير الثقافة السائدة. فالذي يشعل تلك الإثارة والفرح هو الوعد بثقافة مُصلَحة بدلَ عمل المسيح على الصليب. لذلك تكون المناشدات الحماسيَّة للناس بأن ينضمُّوا إلى الله في عمله لتغيير العالم، بدلَ دعوتهم للتَّوبة والإيمان بيسوع. ويُقال إنَّ مسار قصَّة الكتاب المقدَّس تتمحور حول إعادة تشكيل العالم، لا على موت يسوع بديلًا عن البشريَّة.

وفي هذه العمليَّة، تقلُّ النعمة والإيمان في المسيحيَّة، ويزداد الدِّين العاديُّ الذي يقول: "عِشْ بهذه الطريقة، وستُغيِّر العالم". ليست هذه هي المسيحيَّة، بل هذا مجرَّد التزام الأخلاقيَّات.

حجرُ عثرةٍ وجهالة

في نهاية المطاف، أتساءل لو كان الدافع لإبعاد الصليب خارج مركَز بشارة الإنجيل، يأتي من الحقيقة الواضحة أنَّ العالم لا يحبُّ الصليب. ففي أحسن الأحوال، يعتقدون أنَّه قصَّةٌ خياليَّة، وفي أسوأ الأحوال، يعتقدونه كذبة وحشيَّة. من المفترض ألَّا نُدهَشَ؛ فبولس الرسول أخبرنا مسبَّقًا بهذا الأمر. حيث قال إنَّ رسالة الصليب ستكون حجر عثرة وجهالة عند الآخرين!

فضلًا عن ذلك، نحن نرغب بصدق أن ينجذب العالم إلى بشارة لإنجيل، ممَّا يخلق ضغطًا هائلًا على المؤمنين ليَجِدوا طريقةً تجنُّبهم الحديث كثيرًا بشأن "ديانة الصليب الدمويَّة". أقصد أنَّنا نريد من العالم أن يقبل بشارة الإنجيل، لا أن يسخرَ منها، أليس كذلك؟

غير أنَّ الحقيقة هي أنَّه ينبغي أن نواجه الأمر. ستبدو رسالة الصليب مجرَّد كلام فارغ لمن حولنا. وستجعل منَّ المؤمنين يبدون كالحمقى، وبالتأكيد ستُضعِف محاوَلاتنا في "الارتباط" مع غير المؤمنين، وإثبات أنَّنا رائعون ومسالمون كالباقين. يستطيع المؤمنون دائمًا أن يجعلوا العالم يفتكرُ عنهم أنَّهم رائعون- إلى أن يصلوا إلى اللحظة التي يبدأون فيها الحديث بأنَّ الخلاص يتمُّ بواسطة المصلوب.

رغم ذلك، يوضحُ الكتاب المقدَّس أنَّ الصليبَ يجب أن يبقى في مركَز

بشارة الإنجيل وصميمها. ولا يمكننا إبعاده، ولا يمكننا أن نستبدل به أيَّة حقيقة أخرى مثل مركَز الخبر السارِّ وقلبه وأساسه. فالقيام بذلك يجعلنا نقدِّم للعالم أمرًا آخرَ لا يخلِّصهم، ومن ثَمَّ لن يكون هذا خبرًا سارًّا بتاتًا.

يقدِّم لنا الكتاب المقدَّس تعليمات واضحة عن الطريقة التي ينبغي أن نتجاوب بها مع الضغوط التي تجعل الصليب ينجرف خارج مركَز بشارة الإنجيل، وينبغي لنا مقاومتها. انظر إلى ما قاله بولس عن هذا الأمر في رسالة كورنثوس الأولى. لقد عرف أنَّ رسالة الصليب تبدو في أحسن الأحوال جنونيَّة لمن حوله، وعلمَ أنَّهم سيرفضون بشارة الإنجيل بسببها، وأنَّها ستكون كرائحة كريهة في أنوفهم. ولكنْ حتَّى في ظلِّ هذا الرفض، قال: "وَلكنَّنَا نَحنُ نَكرزُ بالمَسيح مَصلوبًا..." (١كورنثوس ١: ٢٣). كان مصمِّمًا على أمرٍ واحد: "أَن أَعرفَ شَيئًا بَينَكُم إلَّا يَسوعَ المسيحَ وإيَّاه مَصلوبًا" (١كورنثوس ٢: ٢). وذلك، على حدِّ تعبيره في نهاية الرسالة؛ لأنَّ حقيقة "أنَّ المسيحَ ماتَ من أَجل خَطايَانَا حَسَبَ الكُتُب" لم تكن حقيقة مهمَّة، أو مهمَّة جدًّا فقط، بل كانت لها "الأهمِّيَّة الأولى" (انظر ١كورنثوس ١٥: ٣).

ولكنْ ماذا لو تسبَّب هذا الأمر بسخرية العالم؟ ماذا لو تجاوب الناس بطريقةٍ أفضل مع إنجيلٍ تميل بشارته نحو تجديد العالم بدلَ تركيزها على موت المسيح على الصليب نيابةً عن الخطاة؟ ماذا لو سخر الناس من بشارة الإنجيل لأنَّها تدور حول موت إنسان على الصليب؟ قال بولس: ليكن ذلك، فأنا أعظ عن الصليب. ربَّما يرونه أمرًا سخيفًا أو حماقةً، ولكنِّي أعلم "أَنَّ جَهالَةَ الله أَحكَمُ من النَّاس!" (١كورنثوس ١: ٢٥).

لقد حرص الرسول بولس على إبقاء الصليب في مركَز بشارة الإنجيل

التي وعظ بها، وينبغي لنا أن نفعل ذلك أيضًا. فإذا تركنا أيَّ أمرٍ آخر يأخذ المركَز، سنبدو كأنَّنا نقول: "فلأساعدْك كي تقفز فوقَ ذلك الجدار، ثق بي. ستكون بخير".

الفصل ٨

قوَّة بشارة الإنجيل

قبل تخرُّجي في الكلِّيَّة مباشرةً، قرَّرتُ واثنان من أعزِّ أصدقائي أن نخرجَ في رحلةٍ مرحة من مدينتنا في شرق تكساس إلى متنزه يلوستون الوطني. لقد كانت رحلةً رائعة، معبِّرة عن سمات تغيُّر السنِّ لثلاثة شبَّان مندفعين نحو مرحلة البلوغ.

يمكنكم أن تتخيَّلوا. لقد كانت الرحلةُ حافلةً بمناظر الجبال المذهلة وينابيع المياه الحارَّة والينابيع الكبريتيَّة الساخنة، والكثير الكثير من حيوان الموظ. وفي صباح أحد الأيَّام، قرَّرنا تمضيةَ اليوم في نزهة سيرًا على الأقدام. واتَّفقنا جميعًا، من أجل المتعة، ألَّا نأخذ معنا خريطة. أردنا أن نرى إلى أين سيقودنا الطريق. لذا، وضعنا بعض الأطعمة وهواتفنا المحمولة في حقائبنا الصغيرة على ظهورنا وتوجَّهنا خارجًا.

لقد كانت نزهةً طويلة. وبعد مدَّة من الزمن بدأنا نمزح بعضنا مع بعضٍ قائلين: ها نحن هنا في متنزه يلوستون الوطني، ويبدو أنَّه لا يختلف كثيرًا عن غابات شرق تكساس حيث ترعرعنا. كانت أشجار الصنوبر الضخمة تحيط بنا من كلِّ جانب، وفي كلِّ مرَّة كان علينا أن نقفزَ فوق جدولٍ مائيٍّ يتقاطع مع الطريق. لكنَّنا بدأنا نشعر بالتوتُّر،

إذ لم يكن هناك الكثير ممَّا يمكن رؤيته.

وفجأةً وقبل أن يلاحظ أيٌّ منَّا أنَّ هناك شيئًا ما قد تغيَّر، اختفَتِ الغابة ووجدنا أنفسنا واقفين على حافَة وادٍ سحيق: الغراند كانيون. كان تحتنا جرفٌ رائعٌ ممتدٌّ في الأرض. وكان هناك نهر يتلألأ في الأسفل بينما تنعكس أشعَّة الشمس عليه. الطيور تحلِّق تحتنا، والغيوم المنخفضة تتسارع فوقنا مع إيقاع التيَّارات الهوائيَّة التي تتردَّد في الوادي.

في تلك اللحظة راودني شعورٌ بالصِّغر لا يمكن وصفه، وأنا أحدِّق في ذلك البساط المذهل تحتي وأنظر إلى السماء. وللمرَّة الأولى في ذلك اليوم، توقَّفنا عن الكلام نحن الثلاثة لبضع لحظات، ثمَّ بدأ أحد أصدقائي يرنِّم:

"ربِّي وإلهي، ما أعظم خليقتك،
وكلَّ ما صنعت يداك".[٤]

رغم أنَّ صوتَه لم يكن جيِّدًا، فقد كان قلبه صادقًا جدًّا! وقفنا على حافَة الغراند كانيون بضع دقائق ونحن نسبِّح الخالق الذي خلق هذه التُّحفة المذهلة.

لماذا نغفل عن ذلك؟

أعتقد أنَّه سيكون لبشارة الإنجيل التأثير نفسه فينا إذا توقَّفنا وفكَّرنا فيها حقًّا. متى كانت آخر مرَّةٍ وقفتَ فيها لتنظر إلى الأعلى بعيدًا عن تفاصيل الحياة الدنيويَّة، وتتقابل وجهًا لوجه عند "الغراند كانيون" خاصَّتك

4) "How Great Thou Art," Stuart K. Hine, 1949; based on the poem "O Store Gud," Carl G. Boberg, 1886.

لتتأمَّلَ في ما فعله الله من أجلنا في بشارة الإنجيل- نعمته الفائقة التي ظهرت في غفرانه للبشر الذين تمرَّدوا عليه، وخُطَّته المذهلة بإرسال ابنه ليتألَّم ويموت بدلًا عنَّا، من أجل تشييد عرش يسوع المُقام على ملكوت البرِّ الكامل، ولإحضار أولئك المخلَّصين والمفديِّين بدمه إلى سمواتٍ جديدة وأرضٍ جديدة حيث لا توجد خطيَّة ولا شرٌّ إلى الأبد؟

كيف سمحتُ بطرد جمال بشارة الإنجيل وقوَّة اتِّساعها من ذهني في معظم الأحيان مدَّة زمنيَّة طويلة؟ لماذا تسيطر على أفكاري ومشاعري أمورٌ تافهة، كنظافة سيَّارتي مثلًا أو ما يحدث على قناة سي. أن. أن الآن، أو مدى سعادتي بوجبة الغداء اليوم، بدلَ هذه الحقائق المجيدة؟ لماذا أنظِّمُ حياتي في أحيانٍ كثيرة وأفكِّر فيها كما لو أنِّي أرتدي عصبة على عينيَّ، بدلَ رؤيتها في ضَوء الحياة الأبديَّة؟ لماذا لا تتغلغل بشارة الإنجيل كلَّ الوقت وطَوال الطريق إلى أعماقي، وإلى علاقاتي بزوجتي وأولادي وزملائي في العمل وأصدقائي وأعضاء الكنيسة؟

إنِّي أعلَمُ السبب الحقيقيَّ وراء ذلك: أنِّي خاطئ، وستستمرُّ الأمور الدنيويَّة مسيطرةً على قلبي وتحاربني حتَّى يوم مجيء يسوع. ولكنْ إلى أن يأتيَ ذلك اليوم، سأستمرُّ في محاربتها. أريد محاربة الكسل الروحيّ- وهذا العالم المُخدَّر الذي يهدِّد بجذبي إليه دائمًا- وأريد تبنِّي بشارة الإنجيل بجِدِّيَّة وأجعلها مؤثِّرةً في كلِّ شيء- أفعالي وعواطفي وانفعالاتي ورغباتي وأفكاري وإرادتي.

أرجو أن تكون هذه رغبتَك أيضًا، وأن يكون هذا الكتيِّب قد ساعدك قليلًا لتتمكَّنَ من رؤية عظَمة ما فعله الله من أجلنا في يسوع. ولكنْ ما

العمل الآن؟ حسنًا، فلأذكُرْ بعضَ الأمور المتعلِّقة بالخبر السارِّ الذي ينبغي أن يؤثِّر في حياتنا، رغم أنَّ هناك العديد من الأمور التي لن أذكرها.

تُب وآمن

أوَّلًا، في حال لم تكن مؤمنًا بالمسيح، أريد أن أشكرك على قراءتك هذا الكتاب. أرجو أن تكون قد اغتنمتَ الفرصة لتفكِّر في الخبر السارِّ الذي مركَزه يسوع المسيح، وأصلِّي أن يكون قد اخترق أعماق ذهنك. أعتقد أنَّ إجابة سؤال "ما العمل الآن؟" سهلةٌ جدًّا لك. فليست هناك أمور كثيرة يجب أن تفعلها، بل أمرٌ واحدٌ فقط. تُب عن خطاياك وآمن بيسوع. ويعني هذا إعلان إفلاسك الروحيّ، والاعتراف بعجزك التامِّ عن تخليص نفسك، والمجيء إلى يسوع بصفته رجاءَك الوحيد لنَيل غفران الله وحقِّ الوقوف أمامه.

أن تصيرَ مؤمنًا بالمسيح، ليس بالأمر الشاقّ. لن تجنيَ شيئًا من ذلك، فقد حصل يسوع مسبَّقًا على كلِّ ما تحتاج إليه. وكلُّ ما يطلبه منك الإنجيل هو إبعاد قلبك عن الخطيَّة وتوجيهه نحو يسوع بالإيمان- أي الثقة والاتِّكال عليه. إنَّه يدعوك أن تأتيَ إليه قائلًا: "يسوع، أعلم أنِّي لا أستطيع تخليص نفسي، لذا أومن بأنَّك قادرٌ على القيام بذلك".

ومن ثمَّ يفتح العالم كلُّه أبوابَه أمامك. غير أنَّ كلَّ شيء يبدأ بالتوبة عن الخطيَّة والثقة بيسوع ليمنحك الخلاص.

استرح وافرح

إذا كنت مؤمنًا بالمسيح، فإنَّ الإنجيلَ يدعوك لأن تستريحَ في المسيح يسوع وتبتهج بخلاص لا يُعوَّض، حصل عليه لأجلك. فبسبب يسوع

وبسبب إدراكي لاتِّحادي معه بالإيمان، يمكنني مقاومة إغراء التفكير أنَّ خلاصي لا يزال هشًّا أو أنَّه أمرٌ عابر. أعلم في أعماقي، وسط دوَّامة الأسئلة التي تدور في داخلي، سواء شعرتُ بذلك في لحظةٍ ما أم لا، أنِّي أنتمي إلى يسوع ولا يمكن أن ينتزعني أحد من بين يديه. وذلك لأنَّ الإنجيل يعلن لي بأنَّ وقوفي أمام الله ببرِّ المسيح لا يستند إلى التدقيق في بطاقات البنغو[٥] الروحيَّة، كالتحقُّق من وجود ما يكفي من ثمر الروح القدس والتحقُّق من الخلوة الشخصيَّة والأحاديث الروحيَّة، وبعد التحقُّق من جميع الأمور، أشعر بأنِّي مخلَّصٌ هذا اليوم!

في ضوء ما يقوله الإنجيل عن يسوع، تبدو قائمة التحقُّقات هذه فكرةً سخيفة! أشكر الله لأنَّ علاقتي به ليست مبنيَّة على إرادتي المتقلِّبة أو قدرتي على العيش باستقامة. لا، فالله أعلنَ مسبَّقًا حُكمه عليَّ، وهو عطيَّة "الغفران!" بل أكثر من ذلك، هذا الحُكم لن يتغيَّر بتاتًا لأنَّه متأصِّلٌ في يسوع وحده فقط وإلى الأبد- موته على الصليب بدلًا منِّي وشفاعته لأجلي إلى الآن أمام عرش الله.

إذا كنت مؤمنًا بالمسيح، فإنَّ صليب يسوع يقف كجبلٍ من الغرانيت في حياتك، شاهدًا ثابتًا على محبَّة الله لك وتصميمه على جلبك بأمانٍ إلى محضره. إنَّه كما قال الرسول بولس في رسالة رومية "فَمَاذَا نَقُولُ لِهَذَا؟ إِن كَانَ الله مَعَنَا فَمَن عَلَينَا! الذي لَم يُشفِقْ على ابنه بَل بَذَلَه لأَجلنَا أَجمَعينَ كَيفَ لاَ يَهَبُنا أَيضًا مَعَه كلَّ شَيءٍ؟" (رومية ٨: ٣١-٣٢).

٥) لعبة يانصيب إيطاليَّة تعتمد على أعمدة فيها أرقام تندرج تحت أحرف كلمة "BINGO" (المترجم).

أن تحبَّ شعب المسيح

كذلك أيُّها المؤمن بالمسيح، ينبغي أن يدفعك الإنجيل لأن تحبَّ بعمقٍ وحيويَّةٍ شعبَ الله- الكنيسة. فليس بيننا نحن المؤمنين بالمسيح مَنِ اكتسبَ بنفسه طريقه نحو الميراث الذي ادَّخره الله لنا، فنحن لسنا أبناء الملكوت الشجعان، بل جرى إدراجنا ضمن وعود الله فقط استنادًا إلى يسوع المسيح الذي خلَّصنا، ونحن متَّحدون معه بالإيمان.

وإليك هنا المفاجأة التي قد لا تسرُّك! هل تدرك أنَّ الأمر ذاته ينطبق على أخيك الذي يزعجك في كنيستك؟ فهو يؤمن بالربِّ يسوع ذاته الذي تحبُّه وتؤمن به أنت، والأكثر من ذلك، الربُّ الذي خلَّصك وعفا عنك هو الربُّ نفسه الذي خلَّصه وعفا عنه. فكِّر في ذلك الأخ الذي لا تريد قضاء بعض الوقت معه للتعرُّف إليه؛ لأنَّك لا تشعر بالراحة معه. فكِّر في الشخص الذي قطعتَ علاقتك به وأنت ترفض إصلاحها. وتأمَّلْ في فكرة أنَّه يحبُّ الإله ذاته الذي تحبُّه وتثق به. فكِّر في أنَّ الإله نفسه الذي مات من أجلك، مات من أجله أيضًا.

أتساءل لو كان فهمُك لإنجيل يسوع المسيح- الخبر السارّ الذي يعلن أنَّ يسوع خلَّصك رغم أنَّك لا تستحقُّ ذلك الخلاص- عميقًا بما يكفي لتحتملَ الانتقادات التي يوجِّهها إليك إخوتك وأخواتك. أتساءل لو كان عميقًا بما يكفي لتنسى الإساءات التي ارتكبوها بحقِّك، حتَّى تلك المؤلمة جدًّا. ومن ثمَّ يقودك هذا الفهم إلى مسامحتهم ومحبَّتهم كما فعل يسوع معك ومعهم.

أتساءَل لو ازدادت محبَّتك للآخرين نتيجة اتِّساع محبَّة الله لك.

تكلَّم ببشارة الإنجيل إلى العالم

ليس ذلك فحسب، ولكنِّي أتساءل لو جعلتكَ نعمة الله تحبُّ العالم من حولك أكثر، وترغب في رؤية الناس يُقبِلون إلى يسوع المسيح ويؤمنون به. إذا فهمنا نعمة الله كما أُظهرت لنا، ستشتعل قلوبُنا لإظهار تلك النعمة للآخرين أيضًا.

ظهر يسوع بعد قيامته لتلاميذه وقال لهم: "هَكَذا هو مَكتوبٌ وَهَكَذَا كانَ يَنبَغي أَنَّ المسيحَ يَتأَلَّمُ ويَقومُ من الأَموات في اليَوم الثالث وأَن يُكرَزَ باسمه بالتَّوبَة وَمَغفرَة الخَطَايَا لجَميع الأُمَم مُبتَدَأً من أُورُشَليمَ. وَأَنتُم شُهُودٌ لذَلكَ" (لوقا ٢٤: ٤٦-٤٨). كثيرًا ما تخيَّلت وجوهَ التلاميذ قد شُجِبَتْ بعد سماعهم هذا الكلام! لم تكن غاية الله أقلَّ من فداء العالم، وهنا كان يسوع يخبرهم بأنَّ هذه الغاية ستتحقَّق بواسطتهم.

لا أدري ما يكون عليه شعورك عندما تسمع هذه الكلمات. أنا شخصيًّا أشعر بعدم الكفاية وبأنِّي غير مؤهَّل بتاتًا للقيام بذلك. يرغب الله في تحقيق مقاصده في العالم بواسطتنا؟ يا له من أمرٍ مذهل! ولكن إنْ كنت تشعرُ بعدم الاستحقاق وعدم الكفاية، فلأشجِّعْك قليلًا. أنت بالفعل لست جديرًا ولستَ مؤهَّلًا للقيام به! ما التشجيع في هذه الكلمات؟ انظر إلينا- نحن كائنات بشريَّة ضعيفة لا تزال تصارع ضد الخطيَّة في كلِّ يوم من حياتها. ولكن يقول لنا يسوع "ستكونون لي شهودًا"، وذلك بإعلان بشارة الإنجيل- سواء بالوعظ أم بالتعليم أم بأحاديثنا في أثناء تناول الطعام مع الأصدقاء وأفراد العائلة وزملاء العمل- التي تؤكِّد أنَّ الله قرَّر أن يخلِّصَ الخطاة.

هل تساءلت يومًا عن الملاك الذي تحدَّث إلى كرنيليوس في سفر أعمال الرسل ١٠، لماذا لم يخبره ببشارة الإنجيل؟ لماذا يختار عناء إرسال كرنيليوس طلبًا بمجيء بطرس إليه، والذي كان في مدينة مختلفة تمامًا؟ حقًّا، ما دامَ الملاك استطاع التحدُّث مع كرنيليوس بكلِّ ذلك، فلا بدَّ أنَّه كان يستطيع إخباره ببشارة الإنجيل أيضًا! ولكنَّ الله لم يرغب في ذلك، لأنَّه كان مصمِّمًا على تقديم بشارة الإنجيل بكلمات شعبه المنطوقة- أي بأفواه أولئك الذين قبلوا بسرور بشارة الإنجيل وعمل يسوع الخلاصيَّ واختبروا غفرانَه لهم.

إذا كنت مؤمنًا بالمسيح، عليك أن تدرك أنَّك تحمل بين يدَيك رسالةَ الخلاص الحقيقيَّة الوحيدة التي يمكن أن يسمعَها العالم. ليست هناك بشارةٌ أخرى، ولا طريقةٌ أخرى لخلاص العالم من خطاياهم. في حال نال أصدقاؤك أو أفراد عائلتك أو زملاؤك في العمل الخلاص من خطاياهم في وقتٍ ما، سيكون هذا ناتجًا عن وصول بشارة الإنجيل إليهم بواسطة شخصٍ ما. لذا يكلِّفنا يسوع بمهمَّة الذهاب إلى العالم أجمع، لنعظَ ونعلِّمَ الخبر السارَّ لجميع الأمم. وهذا أيضًا ما قصده الرسول بولس في رومية ١٠ عندما سأل "فَكَيفَ يَدعونَ بِمَن لَم يؤمنُوا به. وَكَيفَ يُؤمنونَ بِمَن لَم يَسمَعوا به؟ وَكَيفَ يَسمَعونَ بلا كارزٍ؟" (العدد ١٤). هناك كثير من الأمور الجيِّدة التي يمكن أن نقومَ بها، نحن المؤمنين بالمسيح، ولكن في الواقع، هناك كثيرون يقومون بهذه الأعمال أيضًا وهم ليسوا مؤمنين بالمسيح. فإذا فشلنا نحن المؤمنين في إعلان بشارة إنجيل يسوع، فمن سيقوم بذلك؟ لا أحد.

لذا دع حقائق الإنجيل تخترق قلبك، وتفطره من أجل أولئك الذين لا يعرفون يسوع المسيح. تأمَّل في حالة وقوف أصدقائك وأفراد عائلتك

وزملائك في العمل أمام الله الديَّان البارِّ بعيدًا عن يسوع المسيح. تذكَّر ما فعلَته نعمة الله في حياتك، وتخيَّل ما يمكنها فعله في حياة الآخرين. ومن ثمَّ استنشق نفَسًا عميقًا، وصلِّ ليعملَ روح الله القدُّوس فيك ويفتح فمك لتتكلَّم!

امتلىء بالشَّوق إليه

أخيرًا، بسبب بشارة الإنجيل يجب أن يمتلئ قلبنا بالشَّوق إلى اليوم الذي سيعود فيه ملكنا يسوع ليقيمَ ملكوتَه بالكامل وإلى الأبد. إنَّه ليس مجرَّد اشتياق إلى الوجود في الملكوت؛ فنحن لا نشتاق إلى مجيء يسوع ثانيةً لأنَّنا نريد أن نحيا في عالمٍ تسوده العدالة، ولا مكان فيه للشرِّ فقط.

تلك وعود رائعة، ولكنَّها ليست كبيرة بالقدر الكافي. لا، فإذا فهمنا بشارة الإنجيل بصورةٍ صحيحة، عندئذٍ لن نشتاق كثيرًا إلى الملكوت، بل سيكون اشتياقنا الأكبر إلى الملك. فببشارة الإنجيل عرفناه وأحببناه، ومن ثَمَّ نشتاق لأن نكونَ معه. قال يسوع "أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعطَيتَني يَكُونُونَ مَعي حَيثُ أَكُونُ أَنَا" (يوحنَّا ١٧: ٢٤). ونحن أيضًا نرغب في أن نكونَ معه، وننضمَّ إلى ملايين البشر ونعبده معًا.

يحتوي سفر الرؤيا على رؤية مذهلة لما أعده الله لنا نحن الذين نحبَّه. إنَّها مجرَّد لمحة، ولكنَّها تمنحنا ذلك الشعورَ الغامرَ من الانتصار والفرح والراحة، والشكلَ النهائيَّ في هذه الصورة ليسوع المسيح المعبود الفادي.

”بَعدَ هَذَا نَظَرتُ وَإِذَا جَمعٌ كَثيرٌ لَم يَستَطع أَحَدٌ أَن يَعُده، من كُلِّ الأُمَم وَالقَبَائل وَالشُّعُوب وَالأَلسنَة، وَاقفُونَ أَمَامَ العَرش وَأَمَامَ الحَمَل، مُتَسَربلينَ بثيَابٍ بيضٍ وَفي أَيديهم سَعَفُ النَّخل وَهُم يَصرُخُونَ بصَوتٍ عَظيمٍ قَائلينَ: «الخَلاَصُ لإلَهنَا الجَالس عَلَى العَرش وَللحَمَل»“ (رؤيا ٧: ٩-١٠).

هذا هو اليوم الذي يقودنا الإنجيل لأن نتوقَ إليه. حتَّى ونحن نصارع ونتقدَّم بصعوبةٍ في أثناء التجارب والاضطهادات والمضايقات والإغراءات والانحرافات واللَّامبالاة والإرهاق الواضح من هذا العالم، يوجِّهنا الإنجيل إلى السماء حيث يجلس ملكنا يسوع- حَمَل الله الذي صُلب من أجلنا وقام بمجدٍ عظيم من الأموات- ويشفع فينا. ليس ذلك فقط، بل يدعونا أيضًا لأن نتوقَ إلى ذلك اليوم الأخير عندما تمتلئ السماء من ضجيج زئير أصوات ملايين وملايين الأشخاص الذين نالوا الغفران، مهلِّلين له لأنَّه المخلِّص المصلوب والملك المـُقام.

شكرٌ خاصّ

كما هي الحال مع مشروع أيِّ كتابٍ آخر، هناك عدد لا يُحصى من الناس الذين أُدين لهم بكلمة شكر، فالإنسان لا يتعلَّم أو يفكِّر في العزلة. ويمكنني تمضية يوم كامل في ذكر أسماء الإخوة والأخوات الذين فكَّرت وتحدَّثت معهم بشأن بشارة الإنجيل، على مدى السنوات العشر الماضية على الأقلّ. مع ذلك، هناك بعض الأشخاص الذين أرغب في تقديم كلمة شكر خاصَّة لهم.

في البداية أشكر الفريق الرائع في دار كروسواي للنشر (Crossway)، لمخاطرتهم بالعمل مع كاتب غير معروف. إنْ كان الله يرى أنَّ من الملائم استخدام هذا الكتاب لتعليم كنيسته، ستكون أنت الوسيلة المستخدمة لإتمام ذلك.

كما أشكر فريق "العلامات التسع" (9Marks) لتشجيعهم لي على تأليف هذا الكتاب، وجهودهم لإتمام العمل. كانت رؤية مات شموكَر (Matt Schmucker) من أجل صحَّة الكنيسة حول العالم مصدرًا للإلهام، وأنا أفتخر بمعرفته والعمل معه. كما ساعدني جوناثان ليمان (Jonathan Lee-man) كثيرًا في تأليف هذا الكتاب، فقد عمل على إظهاره بصورةٍ أوضح

بالمناقشة والرسائل الإلكترونيَّة والتحرير. كما أشكر بوبي جايمسون (Bobby Jamieson) الذي استُنزف بعددٍ لا يحصى من الجلسات ونحن نتناولُ القهوة ونتحدَّث بشأن الملكوت. يا له من فرح عظيم أن أكونَ واحدًا من أعضاء هذا الفريق!

أخي العزيز مارك دَفر، أشكرك من أجل تحفيزي لتأليف هذا الكتاب. أنا مديون لك بحيث لا أعتقد أنَّ في وُسعي التعبير عن ذلك. وأنا فخور جدًّا لكَونك مرشدي الروحيّ، وسعيد جدًّا لأنَّ ربَّنا أدهشَنا كلَينا بعودتي إلى العاصمة واشنطن لبعض الوقت. إنَّه حنون جدًّا لمنحنا هذا الوقت لنُمضيه معًا.

أخيرًا، أشكر زوجتي القوية والجميلة موريا، التي تحبُّني وتهتمُّ بي أيضًا، وتمنحني الكثير من الوقت وتتنازل عن حقِّها من الوقت، عندما أختفي وأنعزل وأنا أعمل على مشكلةٍ لاهوتيَّة معقَّدة. أحبُّك يا حبيبتي الغالية...

تسعى خدمة "العلامات التسع" إلى تمكين قادة الكنيسة برؤية كتابيَّة ومصادر عمليَّة لإظهار مجد الله للشعوب بواسطة كنائس سليمة.

ولتحقيق هذا نُريد أن نرى الكنائس تتَّسم بهذه العلامات التسع التي تدلُّ على سلامتها:

١. الوعظُ التفسيريُّ.
٢. علمُ اللاهوت الكتابيُّ.
٣. فهمٌ كتابيٌّ لبشارة الإنجيل.
٤. فهمٌ كتابيٌّ للاهتداء.
٥. فهمٌ كتابيٌّ للكِرازة.
٦. فهمٌ كتابيٌّ لعضويَّة الكنيسة.
٧. فهمٌ كتابيٌّ للتَّأديب الكنسيِّ.
٨. فهمٌ كتابيٌّ للتَّلمذة والنموِّ.
٩. فهمٌ كتابيٌّ لقيادة الكنيسة.

يمكنك زيارة موقعنا باللغة الإنكليزيَّة www.9Marks.org لتجدَ جميعَ منشوراتنا بالتعاون مع الناشر (Crossway)، وغيرها من المصادر الأخرى.

”يقدِّم لنا هذا الكتاب شرحًا أمينًا للإنجيل من الكتاب المقدَّس، ويؤهِّل المؤمنين بالمسيح ليتمكَّنوا من تمييز كلِّ الانحرافات عن الرسالة المجيدة. كم أتمنى أن أضعَ هذا الكتاب بين يدَي كلِّ قساوسة الكنيسة وأعضائها“.

سي. جاي. ماهاني (C. J. Mahaney)

خدمات ”النعمة السائدة“ (Sovereign Grace)

”إنَّ هذا الكتيِّب عن الإنجيل، من أوضح الكتب وأهمِّها بين التي قرأتها في السنوات الماضية“.

مارك دَفر (Mark Dever)

راعي كنيسة كابيتول هِل المعمدانيَّة (Capitol Hill Baptist Church)، واشنطن دي. سي

”سيساعدُك هذا الكتاب على فَهْم إنجيل يسوع المسيح وتقديره ومشاركته بصورةٍ أفضل“.

جوشوا هاريس (Joshua Harris)

راعي كنيسة حياة العهد (Covenant Life)، ميريلاند

”يُبيِّن صديقي غريغ غيلبرت مدى أهمِّيَّة فَهْم كلٍّ من الطبيعة اللاهوتيَّة والضرورة العمليَّة للإنجيل“.

توليان تشيفيجيان (Tullian Tchividjian)

راعي كنيسة كورال ريدج (Coral Ridge) المشيخيَّة، فورت لودردل، فلوريدا

غريغ غيلبرت (Greg Gilbert) يحمل شهادة الماجستير في الإلهيَّات (M.Div) من كلِّيَّة سَذرن بابتِست المعمدانيَّة للدراسات اللاهوتيَّة (Southern Baptist Theological Seminary)، وهو الراعي المسؤول في كنيسة ثيرد آفِنيو المعمدانيَّة (Third Avenue Baptist Church)، في لويسفيل، كنتاكي. ألَّف عددًا من الكتب، وشارك كيفن دي يونغ (Kevin DeYoung) في تأليف كتابٍ عن مهمَّة الكنيسة.

CROSSWAY
www.crossway.org